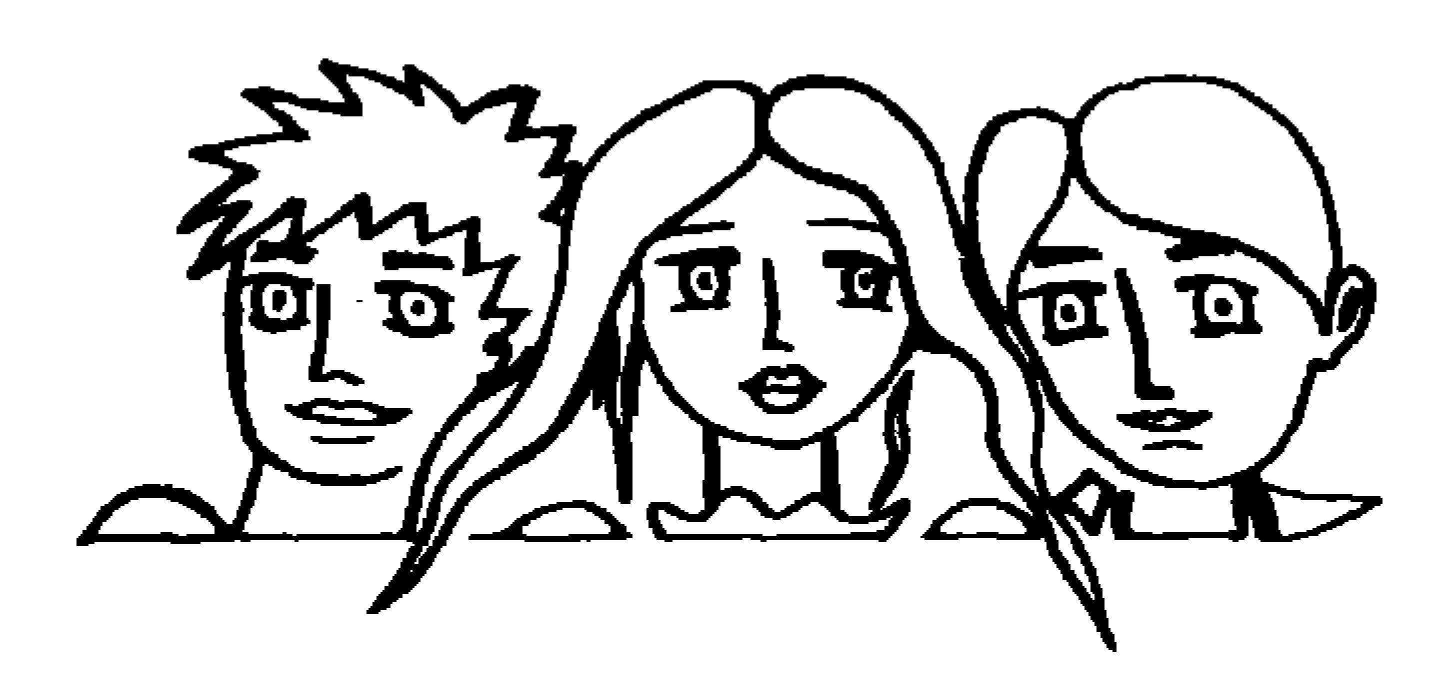

مغامرات الجيل البوليسية
المغامرون الثلاثة فى......

مُغامرات الجيل البوليسيّة



المغامرون الثلاثة في ....

ممر الخطر

تأليف: رجاء عبد الله

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٨٧



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

• ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً: دارجيلاب - تلكس: ٤٢٦٤١ دار الجيل

مَن هُم المغامرُون الثلاثة ؟

انهم « جاسر » و « ياسر » وشقيقتهما « هند »
وذلك حسب ترتيب الأعمار، والسنة الدراسية في المرحلة الثانوية.

الأب : هو المهندس « مختار الديب »، ويطلق على نفسه لقب المهندس الطائر، فهو يطير من بلد عربي إلى آخر.. يعمل في شركة عربية للمقاولات ويساهم في بناء العالم العربي الكبير..

الأم : هي السيدة « نبيهة »، لبنانية الأصل. تنتقل مع زوجها في كل مكان، بعد أن وصل الأبناء الثلاثة.. إلى أعتاب الشباب وسن المسؤولية..

ويبقى من الأسرة.. واحد من أهم أفرادها.. هو العم أو المقدم « عماد الديب »، الضابط بالشرطة الدولية « الإنتربول ».. وهو الرجل الصامت.. الهادئ دائماً.. وكأنما هو « أبو الهول » كما يطلق عليه زملاؤه.. وهو الذي يقيم مع المغامرين الثلاثة في منزلهم الأنيق البسيط، والذي تحيط به حديقة واسعة.. في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة..

وتلتقي الأسرة كلها عادة في صيف كل عام.. في مصر، أو في أي بلد عربي يعمل فيه الوالدان..

ومن هذا الخليط العربي الصميم.. الأب المصري والأم اللبنانية جاء هذا السحر الذي يتمتع به المغامرون الثلاثة.. العيون اللبنانية الخضراء، والبشرة المصرية السمراء اسبغت على المغامرين جمالاً وجاذبية توجت ما يمتازون به من ذكاء فوق العادة، مع قوة ملاحظة وسرعة تصرف، كانت وراء النجاح تلو النجاح في كل مغامرة يتعرضون لها..

وهذه واحدة من هذه المغامرات.. الغريبة الغامضة.


يَاسِـــر
جَاسِـــر

هند ... وعَجيب





الأم السَيدة نبيهـة
العم المقدّم عـمّار
الأب
المهَندس
مُختـار

بسم الله الرحمن الرحيم

العيون الحزينة:

كان المغامرون الثلاثة.. « ياسر » و« جاسر » و« هند »، يعيشون هذه الأيام في راحة اجبارية.. فقد كانت هند مضطرة للبقاء في الفراش بعد وعكَة صحية صعبة مرت بها.. وبأمر الطبيب كان عليها أن تتحمل أسبوعاً آخر في سريرها.. وكان شقيقاها بالتالي يسرعان بعد اليوم الدراسي للبقاء معها حتى لا تشعر بالملل أو الوحدة..

بجوار النافذة العريضة التي تجاور سريرها.. جلست هند تنظر الى الطريق عبر الحديقة الصغيرة التي تحيط بمنزلهم تنتظر شقيقيها بشوق.. كان اليوم هو بداية اجازة نصف العام.. وبرغم برودة جو القاهرة إلا أن شمسها الدافئة كانت تغمر الكون حولها.. وابتسمت وهي تلاحظ « ياسر » الذي يقفز بخطواته الرشيقة الى داخل المنزل ولم تمر

لحظات حتى كان يطرق باب حجرتها ويندفع الى الداخل ضاحكاً وهو يقول: أول اجازة تقضينها في راحة تامة!

قالت باسمة: لا داعي لبقائك بجواري.. إنني أقضي وقتاً ممتعاً مع الكتب!

ابتسم ياسر: وهل تستكثرين علينا بعض الراحة.. ان الجو هذا العام شديد البرودة ولا يشجع على الخروج.. وأنت تعرفين انني امارس الرياضة في أي مكان..

وفي هذه اللحظة دخل «جاسر» وفي يده كوب من عصير الليمون الدافئ.. وفي يده الأخرى كتاب جديد!

قال: كوب الليمون لك.. والكتاب لي.. فما أظن انك تهتمين بالقراءة عن الاليكترونيات ودراسة الكمبيوتر.

ضحكت وقالت: لا.. تركت لك هذا الباب من أبواب القراءة..

وسرحت هند بنظراتها الى الخارج من خلال النافذة.. ثم قالت لياسر مشيرة الى الطريق — ياسر.. أنظر.. أليس هذا زميلك في نفس السنة الدراسية!

ونظر ياسر الى الخارج ثم قال: آه.. نعم.. انه « عقدة »!

هند : اسمه عقدة؟

ياسر : لا.. انه اسم الشهرة.. اسمه الحقيقي « عمر خالد » ولكن زملاءنا يطلقون عليه اسم « عقدة » لأنه لا يتعامل مع أحد منا على الاطلاق!

سألت هند ببساطة: لماذا؟

ياسر : لست أدري.. والغريب انه شاب مهذب جداً.. شديد الأدب.. ومنذ وصل الى المدرسة هذا العام بعد بدء الدراسة بشهر كامل.. قدمه لنا الأستاذ باسمه.. وقد قابلناه بتحيه حارة.. ورد التحية بهدوء ثم جلس مكانه.. ولم يستجب لأي محاولة منا لاقامة علاقة صداقة بأي شكل من الأشكال.. ولكن رفضه لهذه العلاقات كان باسلوب مهذب تماماً..

هند : غريبة، ولكن الم يحاول أي واحد منكم أن يعرف السبب!؟

ياسر : لقد ثارت بعض الاشاعات، ولكن..

وقاطعه « جاسر » غاضباً: ياسر.. لا داعي لترديد الاشاعات.. هذه نميمة شريرة في حق احد الزملاء.. ولا أحد يعرف الحقيقة!

صاحت هند: نميمة، لقد أثرتم فضولي.. يجب أن اسمع القصة كاملة..

ياسر : وانا سأقصها عليك.. ولكن تذكري إنها مجرد ترديد لاشاعات لم يتحقق أحد من صحتها!

وخرج « جاسر » غاضباً.. بينما جلست هند وقد تحولت الى آذان صاغية في انتظار سماع قصته تقطع بها هذا الوقت الممل الذي حكم عليها فيه بالبقاء في الفراش.

وقهقه ياسر وقال: لا تتصوري ان هناك حكاية ورواية، إنها مجرد قصة في جملتين، بعض الزملاء يقول ان « عمر خالد » قد رحل من مدينته في الصعيد، وأتى الى القاهرة بعد أن ارتكب أبوه جريمة، وحكم عليه بالسجن، فرحل الى هنا خوفاً من الفضيحة

هند : وهل هذا معقول؟

ياسر : لا أظن، لأن هناك شائعة أخرى تقول أنه هارب من الصعيد خوفاً من الثأر..

وردت هند: وهل هذا صحيح؟

وقهقه ياسر: ألم أقل لك انها مجرد شائعات؟

هند : وهل يعيش هنا بدون والديه؟

ياسر : ما هذه الأسئلة كلها.. هل تبحثين عن لغز تجدين له حلاً وأنت في الفراش..

هند : أبداً، ولكن منذ بقيت في الفراش.. وأنا أراه يذهب ويجيء في نفس مواعيدك.. ولكنه يسير على الرصيف الآخر وحيداً.. واستنتجت أنه زميلك!

ياسر : هذا صحيح.. وقد حاولت أن أتعرف عليه.. ولكن بدون فائدة!

هند : لم تجب على سؤالي.. هل يعيش وحده؟

ياسر : لا انه يعيش مع والدته فقط في هذا المنزل المواجه لنا!

وفي هذه اللحظة اندفع جاسر قائلاً في غضب: هل انتهت أحاديث النميمة.. لقد حان موعد الدواء.

استسلمت « هند » في سكون وهي تضحك.. فقد كانت تعرف كراهية « جاسر » لكل الاشاعات ولكل من يرددها.. ولذلك صمتت عن الحديث مع « ياسر ».. وتغيرت الموضوعات وتحولت الى أكثر من قصة اخرى..

وقطعت حديثهم داده « عواطف » لتخبرهم أنها ستعد لهم الطعام في حجرة « هند » على أن يتولى « ياسر » تقديم الطعام لكلبهم « عجيبة » لأنها لن تسمح للكلب بالأكل في حجرة النوم..

وكانت طلبات دادة « عواطف » لهم أوامر لا يعترض عليها، فهي تقوم بالنسبة لهم بدور الأم طوال فترة غياب أمهم العزيزة مع أبيهم المهندس الذي يعمل في احدى البلاد العربية..

وطمأنها « ياسر » على أنه سيطعم « عجيبة » ثم يصاحبه في نزهة حول البيت حيث يمارسان رياضة الجري سوياً.

وهكذا مر اليوم.. يقطعون الوقت بالقراءة او بعض الألعاب المسلية ثم جلسوا أمام جهاز التليفزيون يشاهدون برنامج السهرة الذي كان يقدم مسرحية فكاهية استطاعت ان تنتزع الضحكات من القلب..

وبينما الساعة تقترب من منتصف الليل.. اندفع نباح « عجيبة » يشق سكون الكون.. وقفز « ياسر » الى السلم، ثم إلى أسفل المنزل.. وكما بدأ نباح « عجيبة » فجأة صمت فجأة.. ثم سمعوا أصواتاً تتكلم.. وهتف « ياسر » منادياً على شقيقه وعلى « داده عواطف »..

كادت « هند » أن تجن وهي في فراشها لا تستطيع مغادرته.. وتريد أن تعرف حقيقة ما يحدث في المنزل.. حتى اندفع « جاسر » إليها بعد قليل قائلاً.. اطمئني يا عزيزتي.. إنّه جارنا « عمر خالد ».. وزميل « ياسر » في المدرسة، والذي كنتما تتحدثان عنه اليوم..

وهتفت هند: هلْ حدث له حادث؟

جاسر: لا.. إن والدته قد اصابتها نوبة من نوبات مرض الكلى.. وهو يستعين بنا لنطلب له الطبيب تليفونياً، حيث أنهما لا يملكان تليفوناً في المنزل..

هند : وكيف حال والدته الآن؟

قال جاسر وهو يقترب من النافذة: لست أدري.. لقد طلبنا الدكتور وهو في طريقه إلى هنا، وقد ذهبت داده « عواطف »

و« ياسر » مع « عمر » إلى والدته، وسوف أنتظر أنا الطبيب لأصحبه إليهما، ثم أعود إليك فوراً..

هند : لا داعي للقلق بشأني.. فأنا في حالة طيبة! هل يمكن أن اؤدي أي عمل مفيد لكم؟

ولم يرد عليها « جاسر »، فقد رأى عربة الطبيب تتوقف أمام الباب، فأسرع إليه يصحبه إلى بيت المريضة..

وظلت « هند » مستيقظة تنظر من النافذة وتراقب ما يجري في المنزل أمامها.. ومرت ساعة طويلة، حتى خرج الطبيب وبصحبته « جاسر » الذي عاد مرة أخرى الى داخل المنزل.. ومرت فترة أخرى شعرت وكأنها ساعات لا تنتهي، مع أنها لم تتجاوز ربع الساعة، حتى رأت « جاسر » و« ياسر » ومعهما « عمر » يعبرون الطريق إلى منزلهم..

وسمعت طرقاً رقيقاً على باب حجرتها.. ثم دخل الثلاثة.. واقترب عمر جهة « هند » وصافحها مقدما لها نفسه بصوت خافت وهادئ ومهذب..

نظرة واحدة إليه، شعرت بعدها « هند » بحزن عميق يمزق قلبها.. كانت عيناه تنطقان بنظرة حزينة، غريبة..

وشعرت انه حزن يلازمه طول الوقت، وليس فقط بسبب مرض أمه..

نظر حوله وقال: إن الوقت متأخر!

ابتسم « ياسر » وقال ببشاشة: لا بأس.. نحن في اجازة، ومسموح لنا بأن نتأخر في النوم قليلاً.. ثم ان هند في حالة نوم طوال النهار ولا أظن انها تشعر بالحاجة الى النوم الآن..

وأسرع جاسر يقول: من المؤكد انك لم تأكل طوال النهار، سوف أعد بعض السندوتشات السريعة لك!

وقفز ياسر صائحاً: لا.. الطعام هو اختصاصي. أنا الذي سأحضره، على الأقل لأعد لنفسي قدراً كبيراً منه معك!

وابتسمت هند وقالت: ارجو ان تضع في اعتبارك ان « عمر » في حاجة الى الطعام.. فلا تأكله كله وحدك!

وضحكوا جميعاً، ولأول مرة لاحت شبه ابتسامة على شفتي « عمر » الحزينة.. ولكن عينيه لم تبتسما..

وقال جاسر: أرجو ان تهدأ يا « عمر » لقد طمأننا الطبيب
على والدتك.. انها بخير، وهي تحت تأثير المهدئ
الذي أعطاه لها الطبيب، وستظل نائمة حتى ساعة
متأخرة من الصباح.. وداده عواطف معها.. وهي
سيدة رائعة.. أي انها بين أيدي أمينة..

قال عمر بصوته الهادئ: أشكركم جميعاً.. لقد قمتم لي
بخدمات لم أتصور أن هناك من يقوم بها.. حقيقة
ليس هناك أناس مثلكم في هذه الأيام..

قالت هند: لماذا تقول ذلك يا « عمر »، إن الناس الطيبين
أكثر كثيراً من الأشرار وهم موجودون في كل
مكان..

عمر : انكم تقولون هذا لأنكم أنتم طيبون، ولكن ذلك ليس
حقيقياً يا عزيزتي الصغيرة!

هند : من يسمعك تقول هذا يظن أنك عجوز، بلغ عمره
مائة سنة!

عمر : ليست الحياة بالسنين، ولكنها بالخبرة والأحداث
التي يعيشيها الانسان!



جاسر: غريبة.. معقول هذا الكلام.. لماذا كل هذا التشاؤم يا صَديقي العزيز؟

وفي هذه اللحظة دخل « ياسر » وهو يحمل طبقاً كبيراً مملوؤاً بالفطائر والسندوتشات ومعه ابريق كبير من عصير البرتقال..

وحاول المغامرون الثلاثة محاولات مضنية ليقنعوا « عمر » بتناول الطعام، ولكنه لم يستطع أن يبتلع إلا لقيمات صغيرة من احد السندوتشات.. واعتذر بأنه بالرغم من عدم تناوله أي غذاء طوال النهار إلا أنه غير قادر على الأكل.. وأخذ يشكرهم بحرارة حتى أضطروا الى ايقافه عن الكلام..

وسحبه « ياسر » من يده قائلاً: كفى كلاماً.. تعالَ، سوف تقضي الليلة معي في حجرتي.. ان بها فراشاً إضافياً مريحاً!

وحيا الأولاد الثلاثة « هند » وتمنوا لها نوماً هادئاً.. وبادلتهم التحية.. ثم أطفأت النور وظلت بعض الوقت تفكر.. وكانت أفكارها تدور حول ضيفهم الجديد « عمر »، لم تستطع ان تنسى نظراته الحزينة وتأكدت ان وراءها سراً كبيراً وعميقاً.. وتمنت لو انها عرفت سر هذا الحزن.. ثم غلبها النوم..

استيقظ المغامرون الثلاثة في وقت متأخر من الصباح.. وقابلتهم داده « عواطف » بابتسامتها الحنون الواسعة وأخبرتهم ان زميلهم « عمر » قد ذهب الى والدته منذ الصباح الباكر.. وان أمه في حالة صحية طيبة..

وحول مائدة الافطار اكملت حديثها لهم، وأعلنت أنها قد طلبت من السيدة « عنايات » أم زميلهم أن تبقى في فراشها، وسوف تصنع لها هي الطعام الذي أمر به الطبيب لها.. أما « عمر » فقد دعته لتناول طعام الغذاء معهم.. وصاحوا في وقت واحد: وهل قبل الدعوة؟

نظرت اليهم في دهشة وقالت: طبعاً.. إنه سعيد بكم

بدرجة غير معقولة، وقد ظل يحكي عنكم لأمه حتى تركتهما وجئت الى هنا..

ونظروا الى بعضهم في سعادة.. اذن لقد بدأ الجليد في الذوبان.. وبدأ عمر يتعود على العلاقات مع الناس..

قالت هند لشقيقيها: انني أشعر أنه يحمل سراً كبيراً، فنظراته كلها أحزان غامضة!

جاسر: وهو أيضاً يتحدث بتشاؤم غريب.. وكأنه قد فقد الثقة في العالم كله..

ياسر: من حسن حظنا أننا عثرنا عليه هذه الأيام.. على الأقل نشغل وقت « هند » فلا تشعر بالملل في البقاء في السرير.

هند: لا تنسَ أنه مسموح لي بالتجول في البيت منذ اليوم!

ياسر: ولكن لمدة بسيطة فقط..

هند: أين تذهب هذا النهار؟

نظر ياسر من النافذة وقال: لا أظن أنني سأغادر البيت.. إن الجو ينذر بمطر غزير.. والشمس لم تطل علينا حتى



الآن.. سوف أمارس بعضاً من الرياضة.. ثم احاول ان أقلدكم في هذه العادة الغريبة.. التي اسمها القراءة..

وضحك شقيقاه.. وخرج « ياسر » من الحجرة وانشغل « جاسر » و« هند » في مباراة حامية في لعبة الشطرنج.

واقترب موعد الغـذاء.. ووصل الى سمعهم صوت رنين جرس الباب فاسرعوا يرحبون بضيفهم ويستعدون للوليمة الكبيرة، فقد كانوا متأكديـن مـن ان دادة « عواطف » سوف تعد أفضل أصناف الطعام اليوم..

وجلس « عمر » معهم، لم تتغير عاداته.. صوته هادئ،

وعيونه حزينة.. وأخذوا يقطعون الوقت في أحاديث عادية بسيطة، حتى قطع جرس التليفون الحديث، واسرع « ياسر » يرد عليه ثم عاد وهو يقول ببساطة: إنه الملازم « ممدوح » مساعد عمي « عماد » انه يسأل عنا، ويطمئننا إلى أن عمي سوف يعود هذا المساء من المهمة التي كان مشغولاً بها!

وبدت من « عمر » حركة بسيطة، ولكنها لم تغب عن عيون « هند » و« جاسر ».. فقد تحرك في مقعده كمن يهم بالوقوف، ثم جلس مرة أخرى.. وارتعشت رموش عينيه.. وبدا القلق واضحاً على وجهه..

نظر اليه « جاسر » في تساؤل، وهمس عمر: هل عمكم ضابط في الجيش؟

قال ياسر: لا.. انه مقدم في الشرطة، وهو يعمل في قسم الشرطة الدولية « الانتربول » الم تره من قبل؟

عمر : لقد رأيته.. ولكني لم أكن أعرف انه من الشرطة؟

وكان واضحاً أن هناك شيئاً ما قد تغير في الجو.. فقد شمل الصمت المكان، وأحنى عمر رأسه.. ونظر المغامرون الى بعضهم في دهشة: ولكن واحداً منهم لم يجرؤ على قطع السكون الذي خيم عليهم!



أخيراً.. رفع عمر رأسه.. ونظر اليهم نظرة يائسة.. وقال: اسمعوا، لقد كنتم معي خير الأصحاب، وأنا لم اعرف اشخاصاً في مثل اخلاقكم وطيبتكم.. وأعتقد انه لا بد من أن اعترف لكم بكل شيء!

قال جاسر بصوت حاسم: تعترف. ماذا تقصد، ارجوك يا عمر.. اذا كان لديك سرٌّ تحب أن تحتفظ به، فلا داعي لأن تتحدث، نحن نحبك ونحترمك، ولا يهمنا إلا علاقتنا بك!

ونظر « ياسر » الى « هند ».. نظرات ذات معنى!

وقال عمر: اشكركم جداً.. ولكني اعتقد أنكم أهل للثقة.. وسوف اخبركم بكل شيء!

قال ياسر ضاحكاً: ليس الآن يا عزيزي.. ودع الحديث الى ما بعد الطعام فاني اتضور جوعاً ثم ان رائحة لذيذة تنبعث من حجرة المائدة، ولن أنتظر اكثر من ذلك.. هيا بنا..

وكان « ياسر » ذكياً في هذه الحركة، فقد استطاع أن يعيد الهدوء الى نفسية عمر، وأقبلوا على الطعام بشهية.. ثم

انتقلوا الى حجرة المعيشة.. وبدأوا يتناولون الفاكهة.. وقال عمر في حسم: الآن.. جاء وقت الحديث..

ونظر الى وجوههم: كان اللهفة واضحة عليها، وان حاولوا ان يتظاهروا بغير ذلك.. ونظروا بدورهم إليه.. وكان وجهه ويا للغرابة قد تحول من الحزن الى الصلابة، وبدت في عينيه نظرات قسوة غريبة.. بدأ عمر الحديث.. قال: أظن أنكم تعرفون أننا من الصعيد كنا اسرة سعيدة تتكون من أمي وأبي وأنا.. لم نفترق عن بعضنا أبداً، ونعيش في مستوى طيب، فأبي وأمي من أسرتين تتميزان بالثراء.. والدتي مدرسة نادرة المثال في المدرسة الثانوية، وأبي مهندس، بل أحد المهندسين المعدودين في العالم العربي في تخصصه وهو هندسة الموانئ... وكلما عمل أبي في بلد، كنا ننتقل معه، حتى وقعت الحادثة الأليمة وكان ذلك منذ سنتين.. صمت قليلاً.. ثم عاد يكمل حديثه: بدأت المصائب كلها عندما انتقلنا الى العمل في بلد عربي مجاور.. ومنذ وصولنا أقمنا في مدينة قريبة من الساحل في منزل جميل، وكنا موضع اهتمام المسؤولين في هذا البلد الشقيق.. وكان والدي يذهب الى عمله ويعود وهو في منتهى السعادة، وأخبرنا بأنه سوف يقوم

بعمل قومي كبير، وأن هذا العمل له صفة سرية حتى الآن..

وفي أحد الأيام، حضر إلى المنزل، وأخذ جزءاً كبيراً من ملابسه، وأسر الى أمي بالحقيقة، فهو سيشرف على انشاء ميناء حربي كبير، وان عمله سيكون سرياً.. وسوف يتظاهر بالاشراف على القيام بانشاء ميناء بسيط للصيد، بينما في الحقيقة يقيم الميناء المطلوب.. وأخبر امي انه سيقيم بشكل شبه دائم في مقر العمل، وانه امعاناً في السرية لن يتصل بالحكومة على الاطلاق، بل سيوضع تحت يده مبلغ يصل الى ١٢ مليون دولار، سوف يضعه في خزينة صنع لها حجرة أسفل الكوخ الذي سيقيم فيه.. وللحجرة باب سري يفتح تحت سرير والدي تماماً وان احداً لا يعلم شيئاً عن ذلك.. ما عدا حارسه الخاص.. وودعنا على أن يأتي الينا كل أسبوع مرة في موعد ليلي حدده لنا.. ومضى على عجل، فقد كان هذا هو اليوم الذي سيتسلم فيه خزينة الأموال، والتي لن يعلم أحد بأمرها على الاطلاق..

وبرغم القلق الذي انتاب امي، الا انها كانت فخورة بأبي وبالثقة التي وضعها فيه حكام البلد.. وعلى فكرة.. فان هذه الحقائق لم أكن أعلم عنها شيئاً في ذلك الوقت، ولكن أمي



أخبرتني بها فيما بعد.. عندما أصبح من المستحيل عليها أن تخفي علي الحقيقة كما سأخبركم..

وتوقف «عمر» عن الكلام.. وبدا كأنه يقاوم نفسه ومشاعره حتى يتمكن من تكملة القصة، واحترم المغامرون شعوره، فلم يحاول أحد أن يتعجله أو يقطع عليه حبل أفكاره..

وأخيراً.. استجمع شجاعته وقال: في ذلك اليوم عاد أبي الى مقر عمله.. واستلم خزينة النقود.. ولكن.. في صباح اليوم التالي مباشرة اكتشف عندما استيقظ من نومه اختفاء خزانة النقود بأكملها.. فاسرع

إلى الشرطة يبلغها بالحادث.. وعندما بدأت اجراءات التحقيق، فوجئ أبي بأن الحارس الذي كان مكلفاً بحراسته يشهد بأنه قد رأى زورقاً بخارياً يقترب من الشاطىء في منتصف الليل، وينزل منه رجلان يتعاونان مع أبي في حمل الخزينة ووضعها في الزورق الذي انطلق بها الى عرض البحر.. وعندما انكر والدي هذا الاتهام، فوجئ بأن الحارس يستشهد بأحد الخفراء من حراس الشاطئ الذي أيده في كلامه.. وهكذا تمكن الحارس والخفير من إثبات التهمة على أبي الذي قبض عليه وحوكم محاكمة سرية وسريعة، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات.. وقد صدق الجميع أن أبي هو المجرم اللص الذي سرق ملايين الدولارات.. الوحيدة التي لم تصدق ذلك هي أمي.. خاصة بعد أن سمحت لها السلطات هناك بمقابلته.. فأقسم لها أنه لا يعرف شيئاً عن الحادث.. وأنه لا يذكر أي شيء قد حدث في تلك الليلة المشؤومة، كان آخر ما يتذكره أنه قد تناول طعام العشاء ثم شرب كوباً من الشاي مع الحارس.. ثم استغرق في نوم عميق.. وعندما استيقظ وجد نفسه نائماً أمام الكوخ الخاص به، فأسرع الى الداخل ليجد سريره في غير موضعه، وليجد باب الغرفة التي أخفى بها خزينة النقود مفتوحاً.. ثم لم يجد

الخزانة، وبحث عن الحارس فلم يجده، فأسرع الى الشرطة.

ولأني أعرف أبي جيداً، فاني لا أصدق على الاطلاق انه قد ارتكب هذه الجريمة!

وصمت الجميع.. كانوا يشعرون بالاحراج الشديد.. حتى استجمع « ياسر » شجاعته وسأل عمر ولكن.. متى حضرتم الى مصر؟

عمر : بعد الحكم على أبي مباشرة لم يسمح لنا بالبقاء هناك، وتم ترحيلنا الى مصر.

وسألت هند فجأة: ولكن.. الم يسأل المحقق هذا الحارس.. كيف يمكن لأبيك ان يرتكب هذه الجريمة وهو يعلم ان الحارس موجود في المكان؟

أجاب عمر: لقد أعد الحارس نفسه تماماً لكل الأسئلة.. فقد أجاب على هذا السؤال بأن أبي كان قد أمره بالذهاب الى المدينة لاحضار بعض المؤن.. وطلب منه العودة في الصباح.. ولكنه لم يجد وسيلة مواصلات.. فعاد الى الموقع.. ووجد الخفير في موقع حراسته، فبقي معه يشربان الشاي.. ومن هناك

لاحظا حكاية الزورق.. ولكنهما لم يبلغا عن الحادث، فقد تصورا أن أبي يفعل ذلك طبقاً لأوامر كان مكلفاً بها..

وسكت « عمر »، ونظر الى وجوه اصدقائه.. كانوا صامتين تماماً.. ولم ينطق أحد منهم بأي تعليق وانفعل الولد، وقال بصوت غاضب: إن أبي بريء.. وأقسم انه بريء!

وردت هند بهدوء: نعم! من المؤكد أنه بريء.. نحن نصدقك يا عمر!

وقال جاسر بصوت حنون: إن براءته واضحة كالشمس!
ونظر « ياسر » الى الجميع حائراً!

فقالت هند: طبعاً.. وهل من المعقول أن يفكر رجل عاقل في سرقة أموال في أمانته بهذه الطريقة الواضحة والمكشوفة.. وفي أول يوم من أيام عمله.. ولا تنسَ أنه مهندس خبير، فهو بلا شك شديد الذكاء، ولا يمكن أن يقع في تخطيط سرقة بهذه الطريقة الساذجة!



وقال ياسر: نعم.. معك حق.. ولكن اللصوص الحقيقيون نجحوا في أن يثبتوا التهمة عليه عن طريق الشهود.. وهي أدلة لا يستطيع أي قاض أن يتجاهلها، ان الحارس له يد في هذا الأمر!

قال جاسر: والآن يا عمر.. الم تحاولوا بأي محاولة لانقاذ أبيك واظهار الحقيقة!

عمر: لم يكن في يدنا ما نفعله في ذلك الوقت.. ولكنني أقسمت ان أظهر الحقيقة أو انتقم لأبي، ولهذا حضرنا الى القاهرة!



ياسر: كيف، وماذا ستفعل؟

عمر : هذه قضيتي وحدي.. ولا أريد لأحد أن يتعرض للخطر معي!

وهنا دب الحماس في المغامرين الثلاثة.. وبدأ « جاسر » يقص على « عمر » مغامراتهم السابقة وقدرتهم على حل الألغاز الصعبة.. وقالت « هند » متوسلة: أرجوك يا عمر.. اعتبرنا أخوتك.. اطلب منا أي مساعدة، وسوف تجدنا قادرين عليها.. سنساعدك بأكثر مما تتصور، ولا تخشَ علينا من الأخطار، فنحن معتادون عليها، وقادرون على مواجهتها..

وبدا الاقتناع على وجه « عمر » ولكنه ظل متردداً.. ثم قال: حسناً.. سوف اخبركم بالأسباب التي حضرنا من أجلها إلى القاهرة، ولكن ليس الآن.. يجب أن استأذن والدتي أولاً..

وأجاب الثلاثة في وقت واحد: موافقون..

وقف عمر وقال: حسناً سوف أقص عليكم بقية قصتي هذا المساء.. وشكراً جزيلاً على الغذاء الشهي.. وعلى حسن استماعكم لي..

وقال ياسر: لا داعي للشكر.. لقد صرنا اخوة.. ألم تتفق على ذلك.. ونظر اليهم « عمر » بعينيه الحزينتين صامتاً.. ثم حياهم وخرج.

* * *

بهدوء انتقل المغامرون الثلاثة الى غرفة « هند »، وكان من الواضح أنهم غارقون في التفكير، وطلب « جاسر » من « هند » ان تنال قسطاً من الراحة والنوم، على أن يبقيا بجوارها يلعبان دوراً من الشطرنج..

أطاعت « هند » طلب أخيها، في الوقت الذي تساءل فيه « ياسر » بصوت هادئ:

— هل سيحضر « عمر » حقيقة هذا المساء؟ وهل ستسمح له والدته بأن يقص علينا بقية الحكاية؟

ورفعت هند رأسها وقالت: ألن تحاول ان تستعمل رأسك أبداً يا « ياسر »؟ هل تتصور أن عمر لم يستأذن والدته قبل أن يقص علينا الجزء الأول من قصته؟

ياسر : اذن لماذا يتعلل بهذه الحجة الآن؟

جاسر: أنا فهمت ما تقصد « هند » إن « عمر » شديد الحساسية كما لاحظنا جميعاً، وهو يحاول ان يترك لنا الفرصة للتفكير في كل ما قاله لنا، وهل نحن مؤمنون حقيقة ببراءة والده؟ أم اننا لا نصدق ذلك وبالتالي ربما نرفض أن نكون أصدقاء لزميل نعتقد أن والده مجرم.

هند : هذا هو التفكير الصحيح يا جاسر!

ياسر : ولكن. ما رأيكما الحقيقي

جاسر: أعتقد ان « هند » توافقني على ان الرجل بريء!

ياسر : ومن أين أتاكم هذا الاقتناع؟

هند : لأن القصة كلها كما رواها « عمر » تبدو كذلك.. فلماذا يتحول مهندس كبير ومشهور إلى لص.. وكيف يسرق ما في عهدته بهذه السذاجة.. وإذا كان قد فعلها فلماذا لم يرحل مع بقية اللصوص في الزورق؟

ياسر : لأنه لا يعرف أن هناك شهوداً عليه؟

جاسر: غير صحيح.. لأنه على الأقل يعرف أنه يوجد حراس على طول الشاطئ قد يراه واحد منهم!



ياسر: هل معقــول أن السلطات هناك لم تقدر هذه الاحتمالات؟

هند: ربما قدرتها.. ولكن الأدلة ضده كانت هي الأقوى!

ياسر: على كل حال أنا أميل الى انه بريء، ولكني أيضاً أخشى أن يكون « عمر » بصفته ابنه رافضاً للحقيقة.. سأنتظر حتى أتأكد من عمي « عماد »، فلا بد انه يتذكر مثل هذه الجريمة.. وسيكون لرأيه قمية كبيرة بالنسبة لي..

جاسر: لك رأيك.. ولي رأيي.. ولكني معك في أن نسأل عمي « عماد » فهو بلا شك لديه معلومات صادقة!

قالت هند وهي تغمض عينيها استعداداً للنوم: ولكني مؤمنة تماماً ببراءة الرجل، ان شعوري دائماً لا يخيب!

وتظاهروا بالهدوء.. ولكنهم كانوا ينتظرون المساء على أحر من الجمر..

جلسة عمر:

قرر المغامرون الثلاثة الا ينتظروا حضور « عمر » وحده.. وأن يذهب « ياسر » اليه في منزله ويحضره معه تعبيراً عن تقديرهم له وموافقتهم على صداقته وكان تصرفاً طيباً منهم، فقد كان « عمر » فعلاً يخشى أن يرفضوا صداقته، وأن يشكوا في براءة والده.. ولكن عندما ذهب اليه « ياسر » أزال من نفسه كل قلق كان يشغل باله، فأسرع يتجه معه الى بيتهم..

وفي حجرة المعيشة الدافئة.. جلسوا جميعاً في انتظار بقية الحديث:

قال عماد جاداً: عندما عدنا الى بلدتنا، لم يكن يشغل تفكيرنا الا الطريقة التي يمكن بها اثبات براءة أبي،

وقد ترددت أمي على كبار المحامين، ولكنهم أجمعوا على ان الأمل الوحيد هو اعتراف الحارس بالحقيقة.. ومن هنا فقد ظللنا نحاول أن تتابع أخباره عن طريق بعض أصحابنا في البلد العربي الشقيق، حتى علمنا انه عاد الى مصر بعد عودتنا بشهور قليلة.. ولأن هذا الحارس الخائن من نفس بلدتنا في الصعيد، فقد انتظرنا عودته اليها، ولكنه لم يحضر على الاطلاق.. ثم عرفنا انه يقيم هنا في القاهرة..

جاسر: لماذا لا تكون اكثر دقة.. كيف علمتم بهذا الأمر؟

عمر : لأن الرجل، وبالمناسبة فان اسمه هو « فتحي أبو دومة » ليس له أقارب إلا ابن عم واحد يدعى « عباس » كان يعمل « شيالاً » في محطة السكك الحديدية. وكنت أضعه تحت المراقبة يومياً.. حتى اختفى فجأة.. وسألت عليه زملاءه، فلم يعرف أحد طريقه.. الا شخص واحد كان يقيم معه.. وقال لي بعد اغراقه بمبلغ كبير من النقود ان « عباس » قد أخبره انه سينتقل للعمل مع أحد اقاربه في القاهرة، وسيكون عمله هاماً، ومحترماً، ويدر عليه دخلاً

كبيراً.. وأن حياته كلها سوف تتغير لأنه سيسكن في قصر كبير، لم ير مثله في حياته.. وان هذا القصر يقيم فيه قريبه الذي كان في الخارج.. وهو فـــي ضواحـــي الجيـــزة.. وبالتحديد يقع قريباً من مركز «امبابة».

هند: هذا معناه انه قريب منا هنا؟

عمر: نعم، ولهذا السبب قررنا أن نحضر الى القاهرة، ونسكن قريباً منه!

ياسر: ولكني أتجول في المنطقة كلها منذ زمن طويل، ولم يصادفني أي مكان يمكن أنّ يطلق عليه اسم «قصر»!

عمر: ولكني عثرت عليه!!

هند : عثرت عليه! أين؟

عمر : قريباً من هنا، على مسافة لا تزيد عن نصف ساعة سيراً على الأقدام، أو عشر دقائق بالدراجة!

جاسر: كيف؟ وأين؟

عمر : عند نهاية هذا الشارع يوجد شريط السكة الحديد كما تعرفون.. وبعده تبدأ الأرض الزراعية.. وقد سرت في الطريق الممهد داخل المزارع قليلاً، واذا بي أصادف طريقاً ممهداً وأكثر اتساعاً يقود الى ضيعة أو عزبة كما نطلق عليها.. وفي مقدمتها بيت يحيط به سور ضخم من الصخور، شكله لا يتناسب مع بيوت الريف، ويحيط بالسور العالي مجموعة من الأشجار الضخمة داخلة وخارجة، حتى لا يكاد يظهر منها البيت، وقد تسلقت شجرة كبيرة، ونظرت من خلالها، فرأيت القصر الذي تحيطه مسافة كبيرة من الأراضي المزروعة بالحشائش وبعض الزهور.. ولكنني لم أر أحداً داخله أو حوله!

وصمت الأولاد في دهشة.. ثم سألت هند: هل تأكدت ان « أبو دومة » يعيش في هذا القصر فعلاً؟

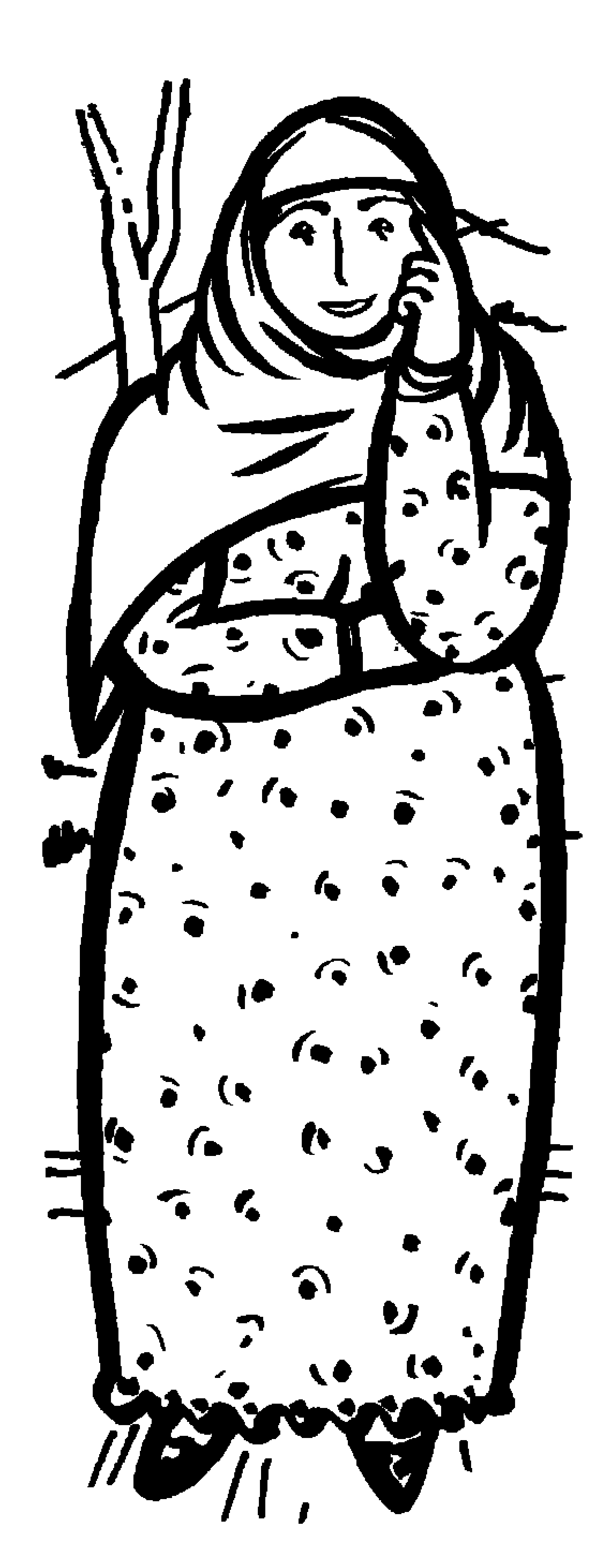
عمر : بالتأكيد، لأنن المكان ينطبق عليه وصف « عباس » للقصر الذي سيعمل فيه عند قريبه.. ولأن القصر والضيعة كلها كانت مهجورة، حتى اشتراها هذا الشخص الذي يقيم فيها الآن.. وقد حدث ذلك منذ سنة واحدة تقريباً.. وهكذا ترون أن كل الظروف والمواصفات تنطبق عليه.

وسأل جاسر قاطعاً الصمت: وهل قررت ماذا ستفعل بعد ذلك؟

عمر : الحقيقة انني لم اقرر شيئاً حتى الآن.. ان كل ما يشغلني فقط هو الطريقة التي يمكن أن اواجه بها « أبو دومة » وان أصل إليه لأجبره على الاعتراف ببراءة أبي!

جاسر: ولكن ذلك ليس سهلاً.. فهل تتصور أنه سيعترف بإرادته لمجرد الحديث معه عن ذلك!

عمر : هذا هو ما يشغلني، خاصة وان شراءه للضيعة والقصر، هو دليل واضح على انه اللص الذي سرق هذه الأموال، فلا يمكن أن يكون قد استطاع أن يجمع ثروة من عمله تسمح له بكل هذا الثراء!



هند: هذه نقطة صحيحة يا عمر.. ولذلك، فأنا أتصور أنه سيكون مثل الوحش الكاسر لو حاول أحد أن يكشف جريمته..

ياسر: وما العمل اذن؟

هند: ان الأمر يتطلب تفكيراً عميقاً، وخطة متكاملة حتى يمكن الوصول اليه، واثبات الجريمة عليه!

جاسر: معك حق.. ولذلك فاني اقترح ان يفكر كل منا في حل، وأن نلتقي غداً في جلسة عمل لنضع خطة نستطيع أن نتحرك على ضوئها للوصول الى الهدف المنشود!

عمر : كيف ذلك، أنا لا أريد لأحد منكم ان يتورط في عمل قد يتعرض بسببه لأي خطر!

وضحكت « هند » وقالت: لقد خرج الأمر من يدك يا صديقي.. لأن المغامرين الثلاثة اذا أصروا على التدخل، فليست هناك قوة تمنعهم من العمل.. فما بالك اذا كانت القضية تخص صديقاً وأخاً جديداً لنا..

وقال عامر بصوت حائر: أنا لا أتصور كيف يمكنني أن اشكركم على هذا الموقف النبيل!

جاسر: لم يحدث بعد ما يستحق أن تشكرنا عليه..

هند : اعتقد اننا سنحتاج منك الى بعض التفاصيل!

عمر : أنا تحت امركم!

هند : كيف يبدو شكل « فتحي أبو دومة » هذا؟

عمر : ان عندي صورة له.. كانت منشورة في جريدة يومية أثناء الحادث.. وهناك أيضاً صورة الخفير الذي أيد كلام « أبو دومة »، واسمه « صميدة » ولعلمكم فانه أيضاً من بلدة صغيرة مجاورة لبلدتنا في الصعيد..

هند : هذا مهم جداً.. أي انه من الممكن أن يكون صديقاً « لأبو دومة » من قبل سفرهم للعمل في الخارج! وهل عرفت عن « صميدة » أخباراً بعد عودتكم؟

عمر : لا.. لقد اختفي تماماً بعد الحادث بقليل، ولم يسمع عنه أحد شيئاً!

هند : الا تذكر أي شيء عن الحادث.. مهما كان صغيراً، فربما كان مفيداً لنا في وضع خطتنا..

واجتاحت سحابة من الحزن وجه « عمر » وقال بصوت متهدج وكأنه سينفجر في البكاء: لا لا.. لا أذكر الا وجه أبي.. وهو يقبلني ويؤكد لي انه بريء.. وانه صادق.. وانه لا يفعل أبداً شيئاً من الممكن أن يحطم سعادتنا.. ولكنهم للأسف تمكنوا من تحطيمها.. فقد ضاعت سعادتنا الى الأبد!

وهمس جاسر من بين أسنانه: ولكننا نعدك انها ستعود.. نعم ستعود اليكم السعادة.

ولم يستطع « عمر » أن يستمر في الحديث.. فاعتذر اليهم، وعاد الى بيته.. مع وعد بلقاء في اليوم التالي.

* * *

وقبل أن يبدأ المغامرون الثلاثة في مناقشة هذه القضية الغريبة وصل عمهم المقدم « عماد » والذي كان غائباً عن البيت في مهمة من مهماته الرسمية والتي يتغيب فيها عنهم كثيراً.. وتبادل الجميع التحية بحرارة، واطمأن على صحة « هند »، وجلس بجوارها يتناول كوباً من الشاي الدافئ.. ونظر إليهم متسائلاً، وقال: على وجوهكم تعبير غريب.. هناك شيء غير عادي يحدث في هذا البيت!.. ترى ما هو؟

وضحك المغامرون في سعادة.. ان عمهم حقاً مفتش شرطة ماهر، لا يغيب عنه شيءٌ!

قال جاسر: إنها قصة غريبة فعلاً، وكنا في انتظارك لنسألك المشروة!

قال « عماد » وهو يستريح في جلسته: ها أنذا هنا.. وكلي آذان صاغية!

وبسرعة.. قصَّ عليه « ياسر » حكاية زميلهم بكل تفاصيلها من البداية حتى النهاية، ثم صمتوا ونظروا إلى عمهم في انتظار رده..

اعتدل المقدم « عماد »، وعاد وجهه يكتسي بهذا التعبير

الرسمي الجامد.. الذي استحق عليه لقب « ابو الهول » الذي أطلقه عليه زملاؤه.

قال : إنني أذكر هذه القضية جيداً، لقد كانت موضع اهتمام السلطات هنا، لأن المهندس « خالد » واحد من أعظم المهندسين العرب، ولم يكن معقولاً أن يسرق أموالاً في عهدته.. ولكن..

ونظروا اليه في لهفة.. فأكمل حديثه قائلاً: ولكن كل الظروف كانت ضده، الأدلة، والشهود، ولم يكن ممكناً أن نتدخل في عمل القضاء في دولة شقيقة. وانتهى الأمر بحكم السجن، بالرغم من أن احداً حتى الآن لا يكاد يصدق ما حدث!

هند : ولكن. ألم يكن هناك متابعة للقضية.. مثلاً للشهود الذين ربما يكونون قد اتفقوا ضده!

عماد : طبعاً.. حدث.. لقد ظل الحارس الأول واسمه « أبو دومة » يعمل لمدة ستة شهور، ثم عاد الى مصر.. واشتغل في بعض المقاولات الصغيرة.. وبعد شهور من متابعته، لم نجد ما يشير الى اتهامه.. وهكذا

رفعت عنه الرقابة.. أما « صميدة » الشاهد الثاني، فهو مجرد عامل بسيط، وقد اختفى أيضاً بعد الحادث، وأعتقد أنه يعمل في أي بلد آخر عربي الآن.

جاسر: ولكن « عمر » يقول ان « ابو دومة » هو الذي اشترى القصر في القرية المجاورة. فمن أين أتى بالنقود!

وهز المفتش عماد رأسه وقال: لا.. ليس صحيحاً.. الذي اشترى القصر اسمه « عبد الفتاح العدوى » وهو أحد المقاولين الكبار، وكان يعمل في عدد من البلاد العربية، ثم عاد بكل دخله ليعيش في هذا البيت، مؤثراً الوحدة لأنه مريض كما يقال.. وقد اعتزل العمل.

هند : غير معقول

وضحك عماد وقال: انكم تبحثون عن لغز بأي شكل.. ان تسجيل البيع والشراء موجود في الشهر العقاري.. واسمه موجود هناك.. أعتقد أن « عمر » يتصرف بشكل عاطفي، فمن الطبيعي ألا يعترف بأخطاء أبيه،

ويحاول رفع الاتهام عنه.. أنصحكم بمحاولة التسرية عنه، وأن تجعلوه صديقاً لكم.. حتى تنتهى مدة سجن أبيه، وربما أمكن للدولة أن تأتي به الى هنا.. حيث يقضي فترة العقوبة.. والآن هيا الى النوم.. انني متعب ولم أنم منذ يومين..

وحياهم تحية المساء.. وتركهم وقد أطبق عليهم الصمت..

وقطع ياسر الصمت أخيراً وقال: هل يكون هذا نهاية القضية!

قالت هند وهي تتثائب: لن تعرف حتى نرى صاحب القصر.. هل هو حقيقة « عبد الفتاح العدوى ».. أو « فتحي أبو دومة ».. وعلينا ان نناقش ذلك في الصباح.. تصبحون على خير..

* * *

مرة أخرى عادت جلسة العمل للانعقاد في بيت المغامرين الثلاثة.. وكانت هند تضع أمامها بعض الأوراق.. وعندما اكتملت الجلسة بوصول « عمر »، بدأت الحديث فقالت: ان

الخيط الوحيد الموجود معنا الآن.. هو القصر الذي يعتقد « عمر » ان الذي يقيم فيه هو « فتحي ابو دومة » والمفروض الآن ان نتأكد من ذلك.. وبما انني غير قادرة على التحرك معكم.. فسأكتفي بأن احاول التفكير، ورسم خطة للعمل. فما رأيكم؟

ولم يرد احد، وكان الصمت علامة الموافقة.

قالت: بما ان القصر ليس بعيداً عن هنا.. فمن السهل ان تتجولوا بالدراجات بالقرب منه للتعرف على أهل القصر.. وما يدور فيه.. ربما صادفكم صاحب القصر نفسه، وتتمكنون من معرفته، خاصة اذا كان « عمر » قد احضر صورته!

وقال عمر: نعم.. الصورة معي.. ها هي!

ووضع أمامهم صفحة من جريدة، بها صورة « أبو دومة » و« صميدة » أثناء القاء الشهادة في المحكمة، وتمعنوا فيها جيداً حتى تنطبع في أذهانهم..

وأكملت هند: والمهمة الثانية هي محاولة العثور على أية معلومات حول القصر وأصحابه وزواره وغير ذلك..

من خلال كل من يتعاملون معه حول القصر.. ما رأيكم؟

أجاب جاسر: هذا هو ما يجب أن نفعله! متى نبدأ

وقال « عمر » وقد دبت فيه الحماسة مثلهم: الآن فوراً!

ووقف الأولاد الثلاثة، وقال ياسر: سوف نستعد ببعض الملابس المناسبة وخاصة أحذية الرياضة، ولدينا الدراجات.. وسأحضر بعد المعدات التي قد نحتاجها..

وبعد لحظات، كانت هند تراقبهم من النافذة وهم يركبون الدراجات، ويسرعون في طريقهم.. وكان من الواضح الآن أنهم قد قرروا نسيان نصيحة عمهم.. وان يسيروا في مغامرتهم الى النهاية..

وعادت « هند » تنظر في أوراقها بينما انطلق الأولاد الثلاثة في طريقهم..

وأخذ « عمر » يقودهم في الطريق الى القصر.. وكان يعرف طريقه تماماً. فقد سار إليه مرات من قبل، وطاف حوله أكثر من مرة.. عبروا شريط السكة الحديد.. وبدأ طريق زراعي ضيق ولكنه مرصوف. ولم يسيروا فيه اكثر من دقائق..

حتى ظهر أمامهم من اليمين طريق آخر اكثر اتساعاً.. وعلى جانبيه الأشجار الضخمة تظلله تماماً.. حتى كاد أن يكون مظلماً وبمجرد ان بدأوا السير فيه، حتى لاحظوا انه ينتهي ببناء ضخم تحوطه الأشجار من الداخل والخارج.. كان سوراً عالياً.. به بوابة ضخمة بعرض الطريق.. ولكنها مغلقة تماماً.. وعندما وصلوا اليها. لم يجدوا ما يدل على وجود بواب أو عامل أو مخلوق قريب من القصر.. توقفوا، ووضعوا دراجاتهم خلف شجرة، ثم أخذوا يطوفون حول السور ولكنه كان كبيراً جداً، حتى قطعوا الدورة حوله في ساعة كاملة. قبل أن يعودوا الى مكانهم أمام البوابة، وطوال هذه الجولة، لم يبد لهم ان هناك سكاناً في القصر، أو دليلاً واحداً على أن هناك من يعيش في هذا المكان الصامت..

قال ياسر وهو ينظر حوله: لم يعد هناك مفر من استعمال مواهبي الخاصة، سوف اتسلق هذه الشجرة العالية إلى قمتها، لأستكشف ما يجري في الداخل..

وحول رقبته وضع شريط النظارة المكبرة.. وبدأ يتخير احدى الأشجار، وقال «عمر» بقلق: ولكن الأشجار عالية جداً سيكون في ذلك خطر عليك!

ضحك « ياسر » وقال اطمئن.. ان تسلق الأشجار هوايتي منذ الطفولة!

وتعلقت عيون « جاسر » و« عمر » بياسر وهو يتسلق الشجرة في براعة القرود.. وأخذا يتابعانه بنظراتهما حتى كاد يختفي بين الأغصان البعيدة.. وأوشك على الوصول الى قمة فرع الشجرة الأخير الذي يبعد تماماً عن أنظارهم.. وفي نفس اللحظة شعروا بصوت عربة يقترب فأسرعا يختفيان بين الأشجار..

واقتربت سيارة صغيرة سوداء.. توقفت أمام البوابة.. لحظات قليلة، ثم ارتفع صوت صرير البوابة الضخمة وهو يفتح على مصراعيه، وانطلقت السيارة تعبر الباب، وفي الحال عادت البوابة لتقفل من نفسها بدون أن يظهر أحد ليقوم بهذه المهمة..

وهمس عمر: غريبة لم أر أحداً يفتح البوابة أو يغلقها، وحتى السائق لم يطلق صوت السيارة.

قال جاسر: لأن البوابة تفتح وتغلق إليكترونياً.. هل تعرف طريقة « الريموت كونترول » الذي نستعملها لفتح التليفزيون او الانتقال بين القنوات.. انها نفس



الطريقة، وهذا هو الغريب، فكيف تكون هذه
الآلات الاليكترونية المتقدمة، موجودة في الريف
المصري؟ ولماذا؟

وتحول جاسر وأخرج من جيبه دفتره الصغير، ودون رقماً
وقال: انه رقم العربة!

نظر اليه عمر بدهشة وإعجاب وقال: غريبة، انتم لا
يفوتكم شيء..

ضحك جاسر وقال: اطمئن.. نحن مغامرون قدماء.. هذه
ليست المرة الأولى!

وسمعا صوت طرقعة أغصان، فتنبها الى انهما كادا ينسيان
وجود « ياسر » الذي تسلق الشجرة، وعادا ينظران الى أعلى،
وينتظران في نفس الوقت أن تعود السيارة الى الخروج!

ومضت مدة طويلة.. وانتابهما القلق.. حتى كادا يتهوران
ويصيحان ليطلبا من ياسر النزول، وأخيراً، ظهر لهما وهو
ينزلق بين الأغصان، ثم يقفز وسطهما بشكل رشيق!

وسأله جاسر غاضباً: لماذا بقيت كل هذا الوقت؟

قال ياسر ببساطة: انتظرت حتى خرجت السيارة.. هل كنت تريد أن اجازف بنزولي حتى يراني ركابها؟

قال له جاسر مندهشاً: خروج السيارة؟ ولكنها لم تخرج حتى الآن..

ياسر : ماذا تقول، لقد رأيتها بعيني، وهي تستدير وتعود في اتجاه البوابة.. وعندما نظرت الى الداخل ثم الى الطريق ولم أجدها.. بدأت في النزول!

جاسر: غير معقول! نحن لم نتحرك من هنا.. وقد دخلت السيارة أمامنا ولكنها لم تخرج!

ياسر : مستحيل.. لقد رأيتها بعيني رأسي وهي تستدير عائدة، ثم اختفت تماماً!

جاسر: هل رأيتها وهي تعبر البوابة؟

ياسر : رأيتها وهي تعود في اتجاهها.. ثم لم يكن في استطاعتي من مكاني أن أرى البوابة نفسها، ولكني لم أرها بعد ذلك أبداً!

قال جاسر يائساً: دعنا من هذه النقطة.. الآن اخبرنا ماذا رأيت بنظارتك المعظمة؟

قال ياسر ببساطة تامة: لا شيء!

وصرخ جاسر: ما معنى هذا؟

ياسر : القصر صامت كالقبور، لم أر أحداً فيه، نوافذه كلها مغلقة.. وكذلك أبوابه. لا حركة ولا صوت.. الا دخول السيارة السوداء.. وعندما توقفت أمام باب القصر الداخلي نزل منها رجلان.. وفتح الباب أمامهما فدخلا، ولم أر أحداً يستقبلهما ولما خرجا لم أر أيضاً أحداً يودعهما. بل ان الباب فتح وحده، وكذلك اغلق وراءهما وحده.. يبدو انه يعمل اوتوماتيكياً.. ثم استقلا السيارة وخرجا.. ولقد بقيت على أمل ان أرى شيئاً.. ولكن بدون فائدة؟

عمر : ماذا ستفعل الآن؟

قال جاسر: نتحرك في طريق العودة.. وسنحاول أن نعثر على بعض المعلومات حول القصر..

وتحركوا مرة أخرى بدراجاتهم في الطريق الى الشارع العام.. ونظروا حولهم.. كان أقرب مكان هو الطريق الموازي لسكة الحديد.. وكان به محل واحد كبير، يبيع البقالة والخبز وكثيراً من متطلبات الطعام والمنازل.. وقال ياسر..

انني اعرف عم « عبده » صاحب هذا المحل ابنه أيضاً صديقي.

واسرعوا يتجهون اليه.. لم يكن هناك الكثير من العمل.. وكان الرجل يجلس قريباً من الباب يراقب حركة الطريق، فأسرع الرجل يرحب بهم.. ويحييهم بحرارة، وقدم ياسر له شقيقه و« عمر » قائلاً انهما يقومان بعمل تحقيق صحفي عن أهم معالم المنطقة لينشر في مجلة المدرسة، ولذلك يريدون سؤاله عن القصر القريب المواجه له، لأن شكله غريب، ولأنه القصر الوحيد في المكان كله..

وابتسم الرجل وأخذ يفكر وكأنه يستعيد ذكريات سعيدة بعيدة، ثم قال:

— ياه.. لقد كانت أياماً قديمة وجميلة، ولم يكن الحال مثل الحال الآن.. كان قصراً وسط الأرض الزراعية بدون أسوار بالرغم من أنه كان بعيداً عن المساكن فلم تكن مدينة المهندسين بأكملها قد ظهرت بعد.. وكان القصر مملوكاً لأحد الأثرياء.. ورثه عن أبيه وجده.. ومملوءاً بالخدم والحشم.. وكان الفلاحون يعملون في الحقول المجاورة كاجراء عند « الباشا »

كما كانوا يطلقون عليه.. ولكن « الباشا » توفي منذ اكثر من عشرين عاماً.. ولأنه لم يكن متزوجاً وليس له أولاد، فقد سمعنا ان عدد الوارثين من عائلته كان كبيراً، فلم يتفقوا على رأي بالنسبة للقصر.. وثارت بينهم المنازعات فاغلقوه وهجروه.. ولم يتوصلوا الى اتفاق بشأن من يتولى أمر الأرض.. فتركوها حتى جفت، ومات الزرع.. وكان المزارعون يخافون العمل فيها حتى لا يتهمهم أحد بالاعتداء على أرض لا يملكونها.. واستمر الحال هكذا عشرين سنة، حتى العام الماضي.. فجأة دبت الحياة في المنزل الكبير.. ورأينا أبوابه ونوافذه مفتوحة، وأتت سيارات نقل ضخمة تحمل عمالاً، بدأوا العمل بهمة في إقامة هذا السور الضخم وغرس الأشجار الضخمة حوله.. وعرفنا ان القصر قد عادت اليه الحياة.

وسأله جاسر وهو يتظاهر بالكتابة في كراسته: ولكن من الذي اشترى القصر؟

قال الرجل: هذا هو الشيء المجهول الذي لم يعرفه أحد

منا حتى الفلاحين الذين يشتهرون بالفضول ومعرفة كل ما يدور في بلدتهم لم يعرفوا شيئاً عن صاحبه.

جاسر: غريبة؟ ولكن ألم تعرفوا من عمال البناء.. لا بد انهم كانوا يتصلون بكم!

قال الرجل: أبداً فالشيء المدهش والغريب انهم لم يكونوا من المصريين، كانوا من العمال الآسيويين، يقولون انهم من بلد اسمها الفيلبين ولم يكونوا يفهمون اللغة العربية ولا يتحدثونها طبعاً.. ولذلك لم يحدث اتصال بينهم وبين أي فرد منا.. كانوا يعملون مثل النمل، ليلاً ونهاراً، وكما ظهروا فجأة، اختفوا فجأة.. وأصبح السور مثل الستار الذي عزل القصر عن المدينة كلها..

نظروا الى بعضهم في دهشة.. ثم سأل ياسر: والطعام.. مشكلة الطعام ألم يكونوا في حاجة الى شيء منه، ليشتروه منك؟

قال الرجل: لا.. نهائياً.. كانت تأتي اليهم العربات المغلقة بطعام خاص بهم.. فلم يتعامل معنا أي واحد منهم.. وبالرغم من ان هذا التصرف يثير الشكوك.. الا اننا

لم نستطع ان نفهم أي شيء.. ثم انتهى الموضوع كله مع الوقت!

جاسر: وحتى الآن لا تعرفون شيئاً عن سكان القصر؟

ضحك الرجل وقال: هذه هي الحقيقة.. مع ان خادمهم يحضر يومياً في الصباح وفي الساعة العاشرة تماماً.. انني اعرف موعده، وانتظره وهو يخرج من الطريق في مواجهتي تماماً.. ويأتي الى هنا، ويشتري كل طلبات القصر.. ثم يعود الى مقره مرة اخرى، ومع ذلك فاننا لا نعلم أي شيء عن القصر.. وهذا الخادم هو الدليل الوحيد على وجود الحياة هناك!

جاسر: ولماذا لا تسأله؟

الرجل: لسبب بسيط جداً، انه اصم وأبكم، لا يسمع أو يتكلم.. فهو يأتي ومعه ورقة مكتوب بها كل الاحتياجات.. ويدفع ثمنها.. ثم يعود صامتاً كما حضر! واعتقد ان سكان القصر يعيشون في وحدة لا يختلطون بأحد.. ولا يزورون احداً..

جاسر: وكيف عرفت ذلك؟

الرجل: لأنني ببساطة اجلس دائماً في مواجهة الطريق الذي يوصل اليهم ولم أر احداً على الاطلاق يخرج من البيت، الا هذا الخادم العجوز! وعلى فكرة، فاني اعتقد انهم عائلة كبيرة العدد.. وهذا هو الغريب في الأمر.. لأن احتياجاتهم كثيرة جداً، ويومية!

وشكره ياسر بحرارة.. ثم انصرفوا على دراجاتهم.. ولم يكن امامهم إلاَّ العودة الى البيت.. وكانت « هند » ما زالت تجلس وراء النافذة، وقد بدا عليها القلق واللهفة، حتى رأتهم قادمين، فأسرعت ترحب بهم.. وعيناها مليئتان بالأسئلة..

وجلسوا.. وعلى الفور قدموا لها تقريراً كاملاً عما حدث.. وكان واضحاً عليهم خيبة الأمل.. فلم تأت رحلتهم بثمارها.. ولم يصلوا الى خيط يوصلهم الى الحقيقة.. ولكنهم لدهشتهم الشديدة وجدوا « هند » تقول لهم: رائع.. اعتقد اننا سنصل الى خيط يؤدي بنا الى الحقيقة عما قريب!

ونظروا اليها في حيرة: فقالت: انتظروا سنتناول الغذاء.. ثم نبدأ العمل مرة أخرى.. لقد اصبحت الأمور واضحة الآن؟

وابتسمت ابتسامة غامضة!!

قصر الأسرار:

ذهب « عمر » الى والدته عقب تناول الغذاء ليطمئن على صحتها، بينما جلست « هند » و« جاسر » يتداولان حول احداث اليوم، وتركهما « ياسر » لمناقشاتهما على ان يعود اليهما بعد قليل من الراحة.

واستمر تبادل الرأي بين « هند » وشقيقها، وقد وضعا على الورق كل ما توصل اليه المغامرون من معلومات حتى ولو كانت بسيطة، وبدأت المغامرة الذكية تحلل هـذه المعلومات.. وكان شقيقها يوافقها تماماً على رأيها، وعلى كل ما توصلت اليه من نتائج.

وعندما اكتمل شمل المغامرين الثلاثة مرة اخرى، ومعهم « عمر » كانت ابتسامة التفاؤل ما زالت مرتسمة على شفتي

« هند ».. حتى سألها « عمر » مستفسراً من أين أتيت بكل هذا التفاؤل؟

قالت هند: من المعلومات التي توصلتم إليها هذا الصباح.

وقال عمر حائراً: كيف، اننا لم نحصل على إجابة واحدة تفيدنا في حل القضية.

قالت هند ضاحكة: على العكس.. لقد كانت المعلومات كلها مفيدة.. وسأقول لك هذه الحقائق ومعناها بالترتيب.

اولاً : لقد اكتشفنا ان الشخص الذي يسكن في القصر، شخص غير عادي.. بل انه شخص خطير، بدليل هذه الاستحكامات التي وضعها حول القصر.. مثل السور والأشجار.. والتي تحجب القصر عن الأنظار.. وهذه معناه انه لا يريد ان يعرفه أحد.

ثانياً: يؤكد الحقيقة الأولى انه يخفي نفسه عن الانظار، ولا يريد لأحد ان يعرفه، انه استعمل عمالاً اجانب لم يستطع احد ان يتصل بهم او يعرف عنه احد شيئاً. بعكس ما اذا كان العمال من المصريين، فقد

كان من السهل لهم الحديث مع الجيران عن كل ما يحدث في القصر.

ثالثاً: الذي يؤكد انه شخص خطير، استعماله للأدوات الاليكترونية في الأبواب.. فهو بذلك يقلل عدد العمال في القصر.. ويستعمل احدث الأجهزة التي تضمن له الحماية التامة، مع ان العادة في البيوت الريفية، انها تظل مفتوحة طوال اليوم، ويحرسها بعض الحراس من الأرياف.

رابعاً: استعماله لخادم اخرس وأبكم، يؤكد جو الأسرار الذي يحيط بالقصر وبصاحبه ويؤكد أيضاً انه بذلك يضمن عدم الكشف عن اسراره.

والنتيجة المؤكدة لهذه الحقائق، ان في القصر رجلاً غامضاً، وغير عادي.. وهذا بعكس ما اكده لنا عمي «عماد» من انه شخص عجوز يريد العيش في جو هادئ.

وصاح ياسر: رائع.. كلها استنتاجات عظيمة.. وصحيحة!

وانتقل الحماس الى عمر وقال: ألم أقل لكم انني متأكد الآن ان هذا الرجل الخفي، والذي يعيش في قصر الأسرار هو نفسه « فتحي ابو دومة »!

قال جاسر: وهذا ما نتصوره نحن كذلك، ولذلك فان علينا ان نقوم بالخطوة التالية.. وبدون تردد.

ونظر عمر اليهم في حيرة، فقالت هند: الخطوة التالية هي رؤية صاحب القصر.. لا بد من ذلك.. لا بد من ان نتأكد من شخصية صاحب القصر!

ياسر : وكيف نصل اليه؟

جاسر: نستعمل خطة « الخطوة.. خطوة ».. ياسر عليه مراقبة القصر غداً من خلال النظارة المكبرة من فوق الشجرة كما حدث اليوم.. وعمر ينتظر الخادم الذي يذهب لشراء الطعام في تمام الساعة العاشرة. يحاول التعرف عليه، ثم يتبعه ليعرف الطريقة التي يدخل ويخرج بها من القصر.. وجاسر الذي هو أنا، مسؤول عن مهمة صعبة أرجو أن اوفق فيها!

قال جاسر: سوف احاول أن أصل الى الموجة التي يعمل عليها الجهاز الذي يفتح البوابة، وان لدي جهازاً من اجهزة « الريموت كونترول » ولدي جهاز لقياس الموجات سوف اختفي خلف اقرب شجرة من الباب، في انتظار دخول او خروج أي شخص، لأحاول ضبط الموجة المطلوبة على الجهاز الخاص بي. وربما استطعنا أن نستعمله في التسلل الى القصر!

قال ياسر: سوف تكون خطوة هائلة لو نجحت في ذلك!

قال جاسر: هذا يتوقف على فتح البوابة اليوم.. ولذلك سوف أذهب الى هناك منذ الآن!

ووقف عمر وياسر، وقالا ونحن معك!

وكان « جاسر » قد أعد كل أجهزته.. فاسرع الثلاثة بالانصراف..

ومرة اخرى جلست هند تقلب اوراقها.. وتقضي وقتها في الانتظار..

* * *

عندما عاد الأولاد الثلاثة في المساء.. كانوا يحملون انباء مثيرة.. قصها جاسر على « هند » بسرعة.. قال: لقد اختبأنا قرب البوابة، وراء شجرة.. وكان الظلام الذي يحيط بالمكان كافياً لاخفائنا عن الأنظار.. وتسلق ياسر الشجرة مرة اخرى.. ولم يطل بنا الانتظار، فقد وصلت عربة صغيرة سوداء وفتحت البوابة بنفس الطريقة، وفي هذه اللحظات القليلة حاولت الوصول الى الموجة المستعملة، ولكني لم اتمكن لضيق الوقت، وبعد اكثر من ساعتين، وبعد ان هبط ياسر من الشجرة والتي لم يستطع ان يستكشف منها أي شيء يزيد عن الصباح، وصلت عربة سوداء اخرى، واختفت أيضاً خلف البوابة، وفي هذه المرة استطعت الوصول الى الموجة المطلوبة. وانتظرنا حتى تخرج السيارة ولكنها لم تعد، حتى تأخر الوقت، واضطررنا الى العودة..

وقاطعه ياسر قائلاً: ولكني متأكد من ان السيارة الأولى قد خرجت.. فقد رأيتها وهي تعود جهة البوابة من مكاني فوق الشجرة.. أما السيارة الثانية فهي لم تعد بالتأكيد لأنني كنت مع « جاسر » و« عمر » على الأرض. ولم تخرج أمامي!

وقال عمر: ولكننا أيضاً متأكدون من ان السيارة الأولى لم تخرج من البوابة أمامنا، وعلى فكرة لقد دونت رقم السيارتين. كما فعل « جاسر » مع السيارة في الصباح!

هند : عظيم.. اذن معنا الآن أرقام ثلاث سيارات.. من السهل العثور على اسماء اصحابها من مصلحة المرور، حتى لو اضطررنا للاستعانة بعمي « عماد »..

وهنا جاءت المفاجأة.. فقد ألقى جاسر بقنبلة لم تكن منتظرة عندما قال: لن نحتاج الى الاستعانة بعمي « عماد »، او حتى البحث عن اسماء اصحاب السيارة!

وسأله ياسر مندهشاً: لماذا؟

قال جاسر: لأن هذه الأرقام ببساطة ارقام مزيفة.

وهتفت هند: كيف عرفت؟

جاسر: لأنه ليست هناك ثلاث عربات.. انها عربة واحدة، وقد غيرت ارقامها ثلاث مرات وهذا يؤكد ان الأرقام مزيفة!

عمر : لا.. لا.. غير معقول.. ان العربة لم تخرج من أمامنا.. فكيف تدخل ثلاث مرات بدون ان تخرج من القصر؟!

جاسر: هذا هو السؤال؟ كيف خرجت بدون ان نراها.. انني متأكد انها نفس العربة لأنه بالرغم من الأرقام المتغيرة، الا انه في ركن السيارة بجوار الباب الخلفي جزء صغير من اثر خبطة قديمة أزالت جزءاً من اللون الأسود.. وقد لاحظتها في المرة الأولى والثانية والثالثة.. ومن هنا تأكدت انها نفس العربة، ولكن بارقام مختلفة!

وصاحت هند: رائع.. عظيم.. ان هذا يؤيد رأيي في ان هذا القصر هو قصر الأسرار.. ان وراء اسواره مجرماً خطيراً، يحاول تضليل الناس عن وجوده.. ان وراء الأسوار لغزاً يجب ان نتغلب عليه!

جاسر: ان اول جزء في اللغز يجب حله هو الاجابة على السؤال.. كيف خرجت السيارة بدون ان نراها؟

ياسر : هناك بوابة اخرى في مكان آخر.. لم نرها نحن!

جاسر: جائز.. ولكن ذلك يتطلب منا امراً واحداً.. ان نقتحم الأسوار.. وندخل القصر وهذا ما يجب ان نفعله الآن وفوراً!!

ياسر: كيف.. لقد اصبحنا في ظلام دامس.. والمكان هناك أشد ظلاماً!

جاسر: وهذا هو الوقت المناسب.. لقد استطعت الوصول الى الموجة التي ستتيح لنا فتح البوابة.. سوف أتم تجهيز الجهاز الخاص بي.. وسأفتح لكما البوابة، على ان تتسللا الى الداخل، وسنتفق على اشارة تطلقونها لأفتحها لكم عند العودة.. اذ يجب ان يبقى احدنا لفتح البوابة وغلقها!

قال عمر متحمساً: انني على اتم الاستعداد.

ياسر: وانا طبعاً!

جاسر: امامي بعض الوقت قبل ان يصبح جهازي جاهزاً للاستعمال..

وقفز وسطهم فجأة كلبهم المخلص « عجيبة » ونبح نباحاً عالياً، وكأنه يحتج بشدة على تفكيرهم في أن يتركوه

وراءهم في مثل هذه المغامرة، ولكن « ياسر » انحنى يربت على ظهره وفي محاولة منه لاقناعه بالبقاء مع « هند » ولكن « عجيبة » كان مصراً اصراراً غريباً.

وفكر « ياسر » قليلاً ثم قال لهند: سوف نصحبه معنا، واتركه في الخارج مع « جاسر »، ربما احتجنا اليه!

ثم استدار الى كلبه المخلص وهبط بجواره.. وهمس في اذنه.. فاستكان الكلب تماماً وانقطع عن النباح، وقالت هند لعمر مفسرة له الأمر: ان «عجيبة » يستطيع ان يفهم كلام « ياسر »!

جاسر: وقد أمره « ياسر » بالصمت والهدوء التام.. وسوف يطيع الأمر طاعة عمياء.

وأخذ الوقت يمضي بطيئاً.. مليئاً بالتوتر والقلق.. كان « عمر » ينتقل من مكان الى آخر وهو يفكر في اللحظات القادمة.. وهل يستطيع حقاً ان يحصل على الدليل على براءة والده.. وكان « ياسر » أيضاً يفكر في نفس الفكرة.. هل يمكنهم الحصول على ما يؤكد براءة والد صديقهم.. هل يتحقق الأمل.. واذا فشلوا في ذلك.. ماذا سيحدث لصديقهم؟!

وظلت الأفكار تحيط بهم حتى أعلن « جاسر » انه مستعد الآن لتجربة جهازه وانه سيتأكد من نجاحه عندما يتمكن من فتح البوابة..

ونظرت « هند » الى ساعة الحائط.. كانت تدق الثامنة مساء.. وحولت نظراتها الى الطريق.. ورأت في صمت الشتاء وبرودته، ثلاثة من الأولاد.. ومعهم كلبهم الوفي، وهم يتجهون الى المجهول.. هل ستنجح خطتهم في الدخول الى القصر؟ وماذا سيقابلهم؟ وهل يمكنهم الوصول الى معلومات تفيدهم في القضية؟ وهل تقابلهم اخطار ربما تصيبهم بأذى.. من يدري ماذا سيحدث في هذا القصر الغامض.. هل ستصادفهم عصابة شرسة تقضي عليهم.. وأخذت « هند » تشعر بالأسف والحزن لهذا المرض الذي اضطرها الى التخلي عن اشقائها.. وتركها لهم في هذه المغامرة الغامضة. وأخذت تراقب عقارب الساعة.. وقررت في نفسها أمراً.. اذا تأخروا.. سوف تذهب وراءهم مهما تعرضت صحتها لأخطار.. وليكن ما يكون.

وعادت نظراتها تتحول الى الساعة.. ثم تعود للأستغراق في التفكير.. أخذت تتعجب!! كيف بدأت هذه المغامرة؟!

وبدأت تضع لها تصوراً كاملاً.. بدأت بواحد من المهندسين الكبار.. النادرين في الوطن العربي، يقوم بمهمة وطنية قومية.. وفجأة تظهر جريمة يتهم بارتكابها ويدان فيها.. من المستفيد من هذا.. لا بد وان المستفيد هو دولة معادية.. ترغب في تحطيم القوة العربية، وتمنع من اقامة هذه المشروعات الوطنية.. نعم.. نعم.. هذا هو الرأي الصحيح.. النتيجة الحقيقية.. لقد تمكن الاعداء من اغراء الحارس وزميله ليلفقوا هذه التهمة الخطيرة للرجل الشريف، ويوقفوا العمل الوطني.

وعندما وصلت «هند» الى هذ التفكير، قفزت واقفة.. ان المغامرين الآن يتعرضون لخطر شديد.. فاذا كان اللصوص ما زالوا على علاقة بهذه الدولة العدوة.. فلا بد وانهم قد اقاموا نظاماً قوياً للحراسة، ومن يدري.. فقد يقتلون المغامرين بغير رحمة.. يجب ان تحذرهم، وبسرعة.. واسرعت الى دولاب ملابسها لترتدي معطفاً ثقيلاً.. وأسرعت الى الباب.. ولكن.. وفي اللحظة التي امتدت يدها فيها لتفتحه.. كان «ياسر» يدفعه من الناحية الأخرى.. واسرع الثلاثة بالدخول يسبقهم «عجيبة» وتنهدت «هند» بارتياح.. لقد عادوا سالمين.. ولكن.. بسرعة لماذا عادوا بهذه السرعة!

وأجاب جاسر على الفور: اطمئني لم يحدث لنا شيء.. على الأقل حتى الآن، اسمعي الحكاية.

لقد وصلنا بسرعة الى بوابة القصر.. وكان كل شيء هادئاً ، وصامتاً.. . واستعملت جهاز « الريموت » الخاص بي.. واستجابت البوابة فعلاً وبدأت ترحب بنا، ولكني أغلقتها مرة اخرى للاطمئنان.. جربت الجهاز أكثر من مرة، حتى تأكدت تماماً من نجاحه.. فطلبت من ياسر وعمر الدخول من البوابة.. ولكن في اللحظة التي مدوا فيها اقدامهم للدخول، وقبل ان يخطوا خطوتين الى الداخل، اندفعت اصوات كلاب رهيبة تنبح نباحاً عالياً.. فاسرعا بالعودة في اللحظة التي اغلقت فيها البوابة، وفي نفس الوقت اندفع ضوء كشاف كبير يدور حول الباب من الداخل، ويصل ضوؤه الى الخارج وقد اسرعنا نختبيء وراء الأشجار الضخمة، بينما اندفع « عجيبة » يبادل الكلاب النباح. وكتمنا انفاسنا لفترة حتى هدأ نباح الكلاب في الداخل والخارج.. وسمعنا صوتاً من وراء البوابة يتحدث

الى شخص بعيد، وكأنه يتحدث من خلال جهاز لاسلكي صغير، ويخبره انه لا يوجد احد.. وان ما أثار نباح الكلاب ليس الا صوت كلب عابر في الخارج.. وعندما شعرنا بالاطمئنان عدنا بسرعة.. فقد تأكدنا ان الحراسة مشددة.. واننا لن نستطيع التسلل الى القصر عن طريقها ما دامت الكلاب تحرسها!

وقالت هند: لقد كنت على وشك الخروج لتحذيركم من الحراسة التي ستواجهونها، فقد توصلت الى رأى يؤكد هذا الكلام.

وباختصار، حدثتهم « هند » عن كل ما دار في ذهنها!

وهتف عمر بانفعال: اذن انتم متأكدون الآن من براءة والدي!

وأجابه جاسر مهدئاً: طبعاً يا عمر.. هل تتصور انه لو كان لدينا شك في ذلك.. هل كنا نحاول القيام بكل هذه المغامرات.

واقتنع عمر وسأل بخجل: ماذا سنفعل الآن؟

قالت هند: يجب أن نفكر كيف نتغلب على الحراسة وندخل القصر!

قال عمر: لا أظن انه سيمكننا دخول القصر.. الا اذا سقطنا من السماء!

وقفز ياسر صائحاً: فكرة رائعة.. معك حق.. سوف أسقط على القصر من السماء!

ونظروا اليه في دهشة!!

فواصل حديثه ضاحكاً: سوف يحدث.. وفي منتصف النهار أيضاً!

ونظروا اليه كما ينظرون الى مجنون فقد عقله.. فواصل ضحكه وقال: انتم لا تصدقون كلامي.. حسناً. سأخبركم بفكرتي، لتعلموا انني استطيع ان احرك عقلي أيضاً، وليس فقط عضلاتي كما تتصورون.. اسمعوا..

وظهرت على وجهه علامات الجدية وقال: ان الطيران الشراعي احد هواياتي كما تعلمون، وأنا اتقن الطيران اتقاناً تاماً.. فقد طرت عدداً من الساعات اكثر من المطلوب للطيار المحترف.. ولكني لم احصل على

رخصة الطيران بعد بسبب السن.. ومع ذلك فان المدرب صديقي، وهو يعاملني معاملة خاصة لثقته في مهارتي، وهو رجل وطني، مخلص.. ويعلم بأننا نقوم بكثير من المغامرات، سوف اقنعه بأن اطير بطائرة صغيرة، وسأتظاهر باشتباك جناحها في أغصان شجرة عالية داخل القصر.. ثم اقفز منها الى الداخل.. وسوف اتعامل مع الحراس على انني قد هبطت هبوطاً اضطرارياً، وسوف يصدقون كلامي. حيث ان مطار « امبابة » والخاص بالطيران الشراعي لا يبعد اكثر من كيلومتر واحد.. وسأحاول ان استكشف اكبر قدر ممكن من المكان.. وفي أسرع وقت ممكن أيضاً!

قالت هند: انها حقاً فكرة رائعة، ولكنها شديدة الخطورة، فمن يعلم ماذا يفعلون بك فور قفزك الى الداخل؟

ياسر : لن يفعلوا شيئاً.. فسوف اخبركم بما فكرت فيه.. فأنتم عليكم مساعدتي في نفس الوقت، ولكني سأحتفظ ببقية خطتي، حتى اقابل الكابتن في الصباح الباكر.. فاذا وافق على فكرة الطيران وحدي غداً،

فسوف اتفق معكم على دوركم الهام..

وبالرغم من خطورة الفكرة، فقد شعروا بشيء من الراحة.. فهناك أمل جديد قد بدأ يظهر لهم.. ومن يدري فقد يكون ياسر هو المفتاح الذي يفتح قصر الأسرار.

* * *

لحظات من الخطر:

عندما استيقظ « ياسر » في السادسة صباحاً.. وارتدى ملابسه الرياضية، وأسرع يستقل دراجته وهو يشعر بمزيد من النشاط بالرغم من البرد الشديد.. نظر الى المنزل المواجه فرأى وراء زجاج النافذة وجهاً باهتاً.. ويبدو وكأنه لم ينم الليل كله.. وكان وجه « عمر » الحزين، فرفع ياسر يده بالتحية.. واسرع في طريقه، وقد زاده رؤية الوجه الحزين اصراراً على اصرار.

وعندما عاد في التاسعة صباحاً.. وجد « عمر » في المنزل مع « جاسر » و« هند » وكانت عيونهم جميعاً موجهة اليه وفيها سؤال صامت ملهوف.. وقبل ان يدخل المنزل رفع يده اليهم بعلامة النصر.. فارتسمت الابتسامات على الوجوه.

قال ياسر: لقد نجحت في اقناع الكابتن.. لقد وافق على الفكرة كلها بعد أن وجد مني اصراراً وتصميماً.. وقد اخبرته على ان من حقه ان يعرف الحقيقة كاملة، ولكن بعد ان تنتهي القضية.. وسوف أطير بالطائرة في الساعة الثانيةعشرة تماماً.. في الظهيرة، حيث يكون الجو في أحسن حالاته.. والآن جاء دور كل منكم!

وفي هدوء.. بدأ « ياسر » يلقي تعليماته إليهم واحداً واحداً.. حتى تأكد من انهم جميعاً فهموا الخطة، ومستعدون للتنفيذ.. لقد كانت المسألة بالنسبة له مسألة حياة او موت.. وكانوا جميعاً يعرفون ذلك!

وعندما وصلت الساعة الى الحادية عشرة.. بدأ كل منهم ينفذ دوره..

ركب « ياسر » الدراجة مع « ياسر »، وركب « عمر » أيضاً دراجته، وتوجهوا الى المطار، حيث يقوم « ياسر » بالطيران.. ويبدأ الاثنان أيضاً في تنفيذ المطلوب منهم..

وجلست « هند » وراء النافذة، وقد وضعت آلة التليفون في متناول يدها.. وبدأت ترقب السماء.. مطار امبابة قريب

منهم، ولن يتأخر الوقت حتى تشهد كل ما يدور فوق المنطقة.

في الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق تماماً.. ظهرت الطائرة الشراعية في الفضاء. لم تكن شديدة الارتفاع، ولكنها قادرة على الطيران فوق المنازل العالية، بعيدة تماماً عن قمم الأشجار، وبعدت الطائرة في جولتها فوق مدينة المهندسين.. دقائق أخرى طويلة، ثم ظهرت مرة أخرى وهي تحوم حول المنطقة.. وكانت أقل ارتفاعاً.. ودارت دورتها المرسومة. ثم عادت الى الظهور.. وتعلقت عيني « هند » بها، كانت هذه المرة قريبة من الأسطح، تكاد تلامس قمة المنزل المرتفع المواجه لهم.. ثم ابتعدت وهي ما زالت على مدى البصر، ومعها عيون « هند »، وفجأة تأرجحت الطائرة في الهواء. واخرجت هند رأسها من النافذة لتتابع تحركاتها.. عادت تتأرجح وتتمايل يميناً وشمالاً.. ثم أخذت ترفرف كالطائر وهي تندفع نحو الأرض.. ثم لم تعد « هند » ترى شيئاً.. فالمكان بعيد عنها.. ولكنها أسرعت تنفذ الجزء المطلوب منها وأدارت قرص التليفون وطلبت رقماً.. وتنفست الصعداء عندما سمعت صوتاً يرد عليها من الطرف الآخر.

في نفس الوقت كان « جاسر » و« عمر » يختفيان وراء شجرة ضخمة قريبة من القصر.. وعندما شاهدا الطائرة وهي تندفع نحو الأشجار في الداخل.. اسرعا أيضاً الى اقرب شجرة من البوابة واختفيا وراءها.

اما « ياسر » فقد كان حقاً يعيش لحظات الخطر..

في اللحظة الأولى كان عليه أن يحافظ على الطائرة، كما وعد مدربه، فلا يحدث بها اضراراً جسيمة.. ولذلك حرص على ان يتعلق طرف الجناح فقط بفرع ضخم من فروع شجرة عالية.. وفي الحال أطفأ المحرك.. فبدا وكأنها قد تعطلت تماماً.. وهي معلقة بين الأرض وبين فرع الشجرة، وفي داخلها « ياسر » ينظر حوله بسرعة بعينين كعيني الصقر، يحاول أن يحتوي المكان كله بنظرة واحدة قبل ان يستعد لمواجهة ما سيحدث.. وكان أخشى ما يخشاه ان تندفع اليه الكلاب المتوحشة فتمزقه، ولذلك بقي داخل الطائرة، وان بدأ يتعجب لماذا لم تهاجمه حتى الآن؟

من مكانه العالي كان يرى القصر الآن، مغلق الأبواب والنوافذ تماماً.. ولكنه لاحظ ملاحظة هامة.. رأى كاميرات للتصوير في كل ركن من أركان القصر.. إنها بلا شك تنقل

صورة كل من يقترب من المكان الى شاشة تليفزيون داخلية.

وهنا ادرك ان لحظة الخطر قد حانت، فقد رأى رجلاً يسرع في اتجاهه، وفي يده مدفع رشاش، سريع الطلقات.. وكان عليه ان يتصرف بمنتهى الهدوء والثقة: فصاح في الرجل.. من فضلك، هل يمكن ان تساعدني في الخروج من الطائرة!

ونظر اليه الرجل في برود ثم قال: من أنت.. لماذا دخلت الى هذا المكان؟

وضحك ياسر وقال: هل تستجوبني وأنا معلق هكذا بين السماء والأرض.. ألا ترى ان الطائرة قد سقطت بي.. انتظر حتى انزل اليك..

وبدأ يحاول الخروج من الطائرة.. وبحركات رياضية يتقنها الرياضيون تماماً.. القى بنفسه من الطائرة، ليسقط تحت قدمي الرجل، الذي وجه اليه مدفعه بسرعة!

وحاول « ياسر » التحرك، ولكن الرجل دفعه ببندقيته ليبقيه على الأرض.. ثم أخرج من جيبه جهازاً صغيراً من اجهزة

اللاسلكي ووضعه على اذنه، واستمع اليه.. ثم صاح في ياسر: لماذا جئت الى هنا؟

وتظاهر ياسر بالدهشة، وأجاب: جئت هنا.. هل رأيت انني قد سقطت بارادتي، انني طالب في مدرسة الطيران بامبابة. وقد اختلت مني عجلة القيادة ووجدت الطائرة تسقط، ثم من حسن حظي انها تعلقت بهذه الشجرة!

وقال الرجل بشراسة: سوف ترى اذا كان هذا من حسن حظك او من سوئه.

وتحول الى جهاز اللاسلكي بعد ان دفع البندقية في صدر « ياسر » وقال: هل سمعت، يقول انه طالب في مدرسة الطيران.. هل انتهي منه الآن؟ طلقة واحدة تكفي!

وتعلقت حياة « ياسر » بالجهاز الذي في يد الرجل، وقد أدرك ان حياته قد انتهت.. ولكن جاء الصوت من الجهاز بارداً يقول: ليس الآن.. احضره الى هنا.. يجب ان نعرف المزيد عنه!

ودفع الرجل بالبندقية في صدر « ياسر » وقال: هيا.. سر امامي الى الداخل!

وتظاهر « ياسر » بأنه لا يستطيع القيام ، ولكن دفعة اخرى من طرف البندقية، جعلته يقفز واقفاً، وبدأ السير والحركة.. وهو يتظاهر بأنه يعرج.. حتى يأخذ اكبر وقت في الطريق، ليلاحظ كل ما حوله.. ورأى شيئاً.. واتسعت عيناه من الدهشة.. ولكن صرخة الرجل جعلته يسرع الى الداخل..

وبمجرد وصولهم الى أعلى درجة في السلم الصغير الموصل الى باب القصر الحديدي الضخم، فتح الباب على مصراعيه.. ودخل « ياسر » وهو ينظر حوله. ولكن يد الرجل الشرس دفعته الى داخل حجرة على يمين الباب.. وكاد يسقط على الأرض قبل ان تتلقفه يدان حديديتان.. وتجبراه على الوقوف على قدميه..

وصرخ « ياسر » محتجاً: ماذا تفعلون.. لماذا تعاملونني بهذه المعاملة.. هل جننتم؟

وكان الآن يقف بين رجلين.. الرجل الذي أحضره، والآخر الذي قابله في الحجرة.. ولم يسمع رداً من أحد.. فادار رأسه في الغرفة، وتظاهر بالدهشة والعحب؟

وقال بمرح: ما هذا.. هل نحن في استديو للتصوير التليفزيوني؟!

كانت الحجرة مليئة بالأجهزة الاليكترونية.. وأكثر من شاشة تليفزيونية.. وعليها تنعكس صورة كل شيء في الخارج.. وأشار ياسر الى شاشة منها وقال: ما هذا فيلم عن الكلاب؟

لقد فهم الآن لماذا لم تهاجمه الكلاب.. لقد رأى كلبين متوحشين في قفص حديدي ضخم، وهو مغلق تماماً.. لا يبدو له باب ولا مخرج، ولكن امام الشاشة رأى زراً كان من الواضح انهم يضغطون عليه اذا ما ارادوا فتح الباب للكلاب المتوحشة.

لم يرد عليه أحد.. نظر الى الرجلين في حيرة وقال: هل سنظل واقفين هكذا، إنني أريد ان انصرف!

ولم يأته الرد مرة اخرى.. وتمنى لو أن « جاسر » هنا، لفهم معنى كل هذه الآلات التي حوله.. وفي هذه اللحظة، سمع صوتاً من جهاز ما في الحجرة يقول: قيدوه في المقعد! أريده حياً!

وهنا تصرف « ياسر » التصرف الوحيد الذي هداه اليه تفكيره.. اسرع برشاقة يقف وراء المقعد ويقول: لن يقيدني أحد.. من انتم ماذا تريدون مني؟

وأخذ يتحرك وهو يجر المقعد حتى اقترب من الجهاز الرئيسي في الحجرة.. ولم يدرك الرجلان ماذا يهدف من ذلك، فاندفعا اليه.. وأسرع « ياسر » يقفز والمقعد في يده متظاهراً بالاشتباك معهم ليحطم الجهاز بالمقعد تماماً.. وارتفعت بعض الشرارات الكهربائية، واشتبك معه الرجلان، واستعمل ياسر كل قوته في الاشتباك.. حتى تحطمت اكثر اجهزة المكان.. ثم استسلم لهما بعد ان تغلبا عليه! وتركهما يقيدانه في أحد المقاعد..

وقفا ينظران إليه في غيظ شديد.. واندفع احدهما الى جهاز يضغط على ازراره.. ولكن الجهاز كان معطلاً تماماً.. واستراح « ياسر » في جلسته، لقد نجح في شل جميع الأجهزة!

وتحول الرجل اليه في شراسة صائحاً: ماذا فعلت.. سوف أقتلك!

وفي هذه اللحظة اتى صوت من وراء ظهر « ياسر » يقول: لا.. قلت لك لن نقتله الآن. انتظر، سوف نعرف اسباب اقتحامه المكان!

وكان واضحاً من صوت الرجل انه الرئيس!

وتمنى « ياسر » لو استطاع ان يدير رأسه ليرى الرجل، ولكنه كان مقيداً بقيد لا يسمح له بذلك. ورد الرجل الشرس قائلاً: ولكنه حطم كل الأجهزة؟

فقال المجهول: ولهذا اريد ان اتأكد من شخصيته، واذا لم يتكلم، فسوف اقتله عبرة لغيره.. متى يمكن اصلاح هذه الأعطال؟

قال الرجل الآخر بيأس: ليس قبل يومين.. ويجب احضار مهندس مختص معي..

قال المجهول: ليس الآن.. انتظر حتى ننتهي من هذا الصبي!

وتحرك « ياسر » قليلاً.. لقد استطاع الآن ان يكون في مواجهة النافذة.. والرجل وراءه، وها هو يتمكن من رؤيته في ظل الزجاج القريب.. لقد رآه الآن تماماً.. وحفر صورته في ذاكرته.

وشعر بيد المجهول تكاد تحطم كتفه وهو يسأله: لا داعي لضياع الوقت.. من أنت، وكيف.. ولماذا أتيت الى هنا!

وقبل ان يتم الرجل كلامه.. ارتفع صوت جعل قلب « ياسر » يقفز في صدره راقصاً، لقد نفذت « هند » دورها



في الوقت المحدد تماماً.. واتصلت بالكابتن الذي أسرع يرسل من يستعيد له الطائرة!

وهمس الرجل من بين أسنانه: ما هذا؟

كان صوت سيارة بوليس النجدة يعلو مرتفعاً.. ومستمراً امام بوابة القصر الخارجية!

وقال ياسر ببساطة: ألم اقل لكم انني من مدرسة الطيران في امبابة، قبل أن اسقط اتصلت بالمطار لاسلكياً، واخبرتهم بمكاني.. وها هم يرسلون لي النجدة ومعها الونش الخاص بالمطار لسحب الطائرة!

وبدأ صوت « سرينة » سيارة الشرطة تزداد ارتفاعاً.. وصوت طرقات عالية على البوابة..

وصاح الرجل وهو يختفي داخل القصر: فكوا قيوده.. واتركوه للشرطة.. وافتحوا الباب حتى يسحبوا الطائرة!

وفي لحظات كان « ياسر » طليق السراح.. ووقف أمام باب القصر من الداخل ينتظر القادمين.. وابتسم وهو يرى « عمر » و« جاسر » في المقدمة. انهما يقومان بدورهما هما أيضاً.. لقد صحبا ونش المطار وكأنهما من عماله.. ودخلا

ليسحبا الطائرة.. ولكنهما في الحقيقة كانا يتطلعان حولهما في دهشة وهما يراقبان القصر الغامض والمساحة الهائلة التي تحيط به.. والسور الضخم الذي يحيط بها.. وأسرع ياسر اليهما.. وقال: هيا بنا.. وانظرا ونحن في طريق الخروج الى المبنى الذي يشبه « جراج السيارات بجوار البوابة.. »

وسأله جاسر ملهوفاً: كيف حالك.. هل انت بخير؟

وهتف ياسر: اسكت.. اسكت.. لا داعي لأن يسمعك احد، سوف اخبركم بكل شيء بعد خروجنا!

واسرع المغامرون الثلاثة يسبقون سيارة الشرطة وهي تخرج من القصر.. وركبوا دراجاتهم واسرعوا الى البيت..

سقط « ياسر » على المقعد في منزله، والتف حوله الجميع، فتنهد قائلاً: لقد وصلت الشرطة في الوقت المناسب تماماً.. في اللحظة التي كنت فيها بين الحياة والموت..

وبدأ « ياسر » يقص عليهم قصته بالتفصيل.. وصاحوا باعجاب وهو يحكي لهم كيف حطم الأجهزة الاليكترونية.. وعطلها عن العمل.. وقال « جاسر » هذا معناه ان اجهزة الرقابة اصبحت معطلة، وان لدينا فرصة للدخول الى القصر

مرة اخرى خلال يومين.. وهما الوقت المقرر لاصلاحها!

قال ياسر: هذا صحيح.. ولكن هناك ملحوظتان لاحظتهما، واريد ان اعرف حقيقتهما.. والتفت الى هند وقال: عزيزتي «ملكة الأفكار».. اسمعي.. وافهمي ثم اشرحي لي.. اولاً، ان اهم ما لاحظته وجود «جراج» في ركن الحديقة الواسعة.. ولكنه كان خالياً من أي سيارة.. وليس هذا بغريب ولكن المدهش ان أرض الجراج لم تكن عادية، كانت منحدرة الى قلب الأرض!

جاسر: هذا ما لاحظته أنا أيضاً عندما اشرت الينا اليه!

قالت هند: وما هي الملحوظة الثانية؟

قال ياسر: ان الزعيم او الرجل المهم صاحب الأمر في القصر، ليس «فتحي ابو دومة» الذي رأيته في الصورة. ان شكله مختلف تماماً!

وتحرك «عمر» في قلق.. وسألت هند: ربما كان احد مساعديه، وليس هو صاحب القصر!

ياسر : لا.. لقد كان واضحاً من تصرفات الحراس انه «الرجل الكبير»، والمسؤول الأول.

عمر : .وكيف ذلك؟

ياسر : هذا ما يحيرني.. فهل وقعنا على شخص خطأ.. ان كل ما في القصر يشير الى انه مقر لزعيم عصابة خطير، وهو يستعين بكل الوسائل الحديثة لحمايته.. وللإختفاء بعيداً عن الأنظار، لقد اختفى بمجرد ان سمع صوت سيارة النجدة.. ولم يحاول الظهور أبداً!!

وصمت الجميع في حيرة.. وفجأة وقف عمر وقال: كيف نسيت هذا.. انني متأكد ان هذا القصر هو قصر « أبو دومة »، فقد رأيت « عباس » هناك؟

وسأله جاسر: من هو عباس.. وكيف رأيته؟!

عمر : عباس.. ألم أقل لكم أننا كنا نراقب القريب الوحيد « لأبو دومة » والذي عرفنا أنه أتى الى هنا، إنه نفس الرجل الذي فتح البوابة.. أي انه الحارس الذي كاد يقتل ياسر!

وسألته هند بقلق: وهل رآك عباس؟

عمر : لا.. لا أظن، فقد كنت مختبئاً وراء عربة الشرطة طوال الوقت!

ياسر : اذن.. كيف يكون « أبو دومة » هو صاحب القصر.. بينما الذي رأيته شخص آخر!

قالت هند: سوف نفكر في هذه النقطة في وقت آخر.. ولكن بما ان « عباس » في القصر، فان هذا دليل علي اننا ما زلنا على الطريق الصحيح! وعلى فكرة يا ياسر.. كيف يبدو هذا الزعيم؟

ياسر : كان رجلاً عجوزاً، في سن كبيرة، وقد كست التجاعيد كل وجهه، على عكس صورة « أبو دومة » التي يبدو فيها وكأنه في سن الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً!

هند : ولكنك قلت أن يده كانت قوية، كادت تطحن كتفك؟

ياسر : فعلاً.. غريبة، لم افكر في ذلك من قبل، لقد كانت قوته لا تتناسب ابداً مع عمره الذي يبدو على وجهه.

هند : الآن علينا أن نقرر الخطوة التالية..

وقطع حديثهم دخول دادة « عواطف » وهي تدعوهم باصرار على الانتقال الى قاعة الطعام لتناول الغداء.. واسرع ياسر يلبي النداء وقال ضاحكاً: اعتقد ان عقلي قد قام بكثير من العمل اليوم.. ومن حقي ان اترك معدتي تأخذ نصيبها من العمل أيضاً..

وضحك الجميع وأسرعوا الى قاعة الطعام.. وابتسمت « هند » وهي ترى « عمر » يسرع الى المائدة معهم كواحد منهم.. وشعرت بالسعادة، فقد استطاعوا ان يخففوا عنه الكثير من الأحزان..

ولكن الطعام لم يمنعهم من الحديث عن دورهم القادم.. وقال جاسر: اعتقد ان ارض « الجراج » المنحدرة الى اسفل.. تقود الى ممر يشبه النفق يقود السيارات الى الخارج، وربما كان هذا هو السبب في اننا كنا نرى السيارة وهي تدخل، ثم لا نراها أثناء خروجها.

هند : فعلاً هذ صحيح.. ان الرجل شديد الحرص والدهاء!

جاسر: ولذلك يجب ان نعثر على المدخل الخارجي للممر، ربما استطعنا الدخول منه الى القصر!

ياسر : ولماذا لا نتسلل من البوابة، إنها مفتوحة الآن لأن اجهزتها لا تعمل.. ولن يرانا احد لأن الكاميرات أيضاً لا تعمل.. وحتى الكلاب محبوسة في اقفاص لا يمكن فتحها حالياً لأن اجهزتها معطلة..

عمر : هذا صحيح! ان كل الظروف في صالحنا فعلاً!

وقاطعه جاسر قائلاً: ولهذا السبب، فسوف تشدد الحراسة بواسطة الحراس انفسهم ويصبح من الصعب، بل المستحيل الدخول من البوابة.. فاذا عثرنا على مدخل الممر، ونفذنا منه الى القصر فكأننا ندخل اليهم من مكان لا يتوقعون وصولنا اليه اطلاقاً!

عمر : عظيم.. ولكن أين نبحث بالتحديد!

هند : تعالوا نتصور مكان القصر، والأماكن المحيطة به، ونحاول العثور على أصلح مكان للبحث!

وجلسوا حول مائدة مستديرة، وعلى ورقة كبيرة، حددوا موقع القصر، وكان الأمر سهلاً لأن المزارع كانت تحيط به من ثلاث جهات..

وقال ياسر: لا يمكن أن يكون باب الممر من أي موقع في هذه الجهات الثلاث، لأنها وسط مزارع ومساكن الفلاحين البسطاء.. وكان العالم كله سيعرف ان باطن الأرض تخرج منها سيارات!

جاسر: اذن لم يبق إلا هذه الجهة الرابعة.. وهي الجهة القريبة منا.. فهي تنتهي الى طريق عام بجوار السكة الحديد.. وكلها أراضي خالية، أعتقد ان بها بعض المقاهي التي يجلس بجوارها باعة االخضروات في الصباح، ثم تظل خالية بقية اليوم.

عمر : إنها الجهة الوحيدة الصالحة لحفر نفق تحتها، لأن حفر النفق تحت الأراضي الزراعية يحتاج الى معدات وعمل غير عادي.. أو لا يصلح على الأصح.. ثم ان النفق يجب ان ينتهي قبل السكة الحديد،.. لأنه من الخطورة ان يحفروا اسفل قضبان القطارات!

وصمت قليلا.. ثم قال.. هذا ما كنت اسمعه من أبي..

وهتف جاسر: نعم.. كلامك صحيح.. سوف نبحث على طول الطريق.. واعتقد انها ستكون مسافة قصيرة.. وسوف نوفق في العثور عليه!

وهبوا واقفين، وقالت هند بأسف: سوف أبقى في مكاني لأنتظركم!

ومال عليها ياسر ضاحكاً: الا تعلمين انك تقومين هنا بدور ضابط الاتصال.. هل نسيت انك انقذت حياتي في الوقت المناسب، لو انك تأخرت دقيقة واحدة في الاتصال بالكابتن في المطار، لكنت الآن مأسوفاً على شبابه!

وضحكوا جميعاً، ولم ينتظروا منها تعليقاً، وأسرعوا بالخروج.

* * *

الاعتراف:

قال ياسر وهو يقفز في خطواته ليبعث الدفء في عروقه:
هذه هي المرة الأولى التي يكاد يكون اللغز فيها من « منازلهم » كما يقولون.. فان الأحداث كلها تقع في قصر لا يبعد عن بيتنا أكثر من دقائق من المشي السريع!

ورد جاسر: وهذا هو الموقف الخطر في نفس الوقت.. فهل تعتقد أن أحداً من حراس القصر رآنا هنا، هل يظن اننا نقوم بنزهة في هذا البرد الشديد!

وكانوا قد اقتربوا من شريط السكة الحديد، فعبروه سريعاً، ليجدوا انفسهم في الطريق العام وساروا في الجهة القريبة من القصر.. كانت الأرض خالية من المنازل، ومن الناس، بعض

الأكواخ الخشبية، وبعض الأولاد الصغار يلعبون حولها.. ثم مقهى صغير به بعض مقاعد من القش وعاملان او ثلاثة يشربون الشاي.. وساروا الى مسافة اكبر.. ولكن الأرض بدت أمامهم منبسطة وخالية.. وليس فيها الا مبنى واحد كبير على الطريق مباشرة.. اسرعوا يقتربون منه، كان مكتوباً عليه « جراح عمومي » ولكن لافتة اخرى مكتوبة بخط اليد تقول انه « مغلق للتحسينات ».. اقتربوا اكثر.. كان الباب من الخشب القديم المتداعي ولم يكن مغلقاً تماماً.. ولكنه بدا مهجوراً مظلماً من الداخل..

وتوقف المغامرون أمامه، وقال جاسر: يبدو ان الحظ في ركابنا اليوم، هل رأيتم افضل من هذا مكان يصلح لأن يكون نهاية للممر الذي يبدأ من القصر؟

قال ياسر وهو يدفع الباب بيده: علينا العثور على اجابة السؤال بانفسنا!

وجذبه جاسر ليوقفه في مكانه وقال: انتظر، يجب ان نأخذ حذرنا.. لنتأكد انه لا يوجد حراسة حول المكان!

ونظروا حولهم بسرعة، ثم داروا حول المكان.. لم يجدوا

أحداً.. ولكن جاسر اقترح عليهم ان يتسللوا واحداً وراء الآخر.. حتى يطمئنوا الى خلو المكان..

وبدأ ياسر الدخول، وأدار بطاريته، وعلى ضوئها استكشف المكان، لم يجد أحداً، همس يدعو « جاسر »، فاندفع « عمر » يسبقه.. وبعد دقائق لحقهم جاسر في مكانهم ولكنهم لم يشعروا بأن هناك حياة حولهم..

اطمأن « ياسر » اكثر، فأشعل بطاريته.. وأخذ يدور بها في المكان الذي كان خالياً تماماً.. فازدادت ثقتهم.. لم يجدوا حولهم الا بقايا سيارات قديمة أحالها الزمن الى بقايا.. وهنا أشعل « جاسر » بطاريته هو الآخر.. وأخذ يتوغل في المكان.. واصطدم الضوء بباب ظهر امامهم فجأة في نهاية المبنى العتيق، ولكنه كان باباً من نوع متين.. ودفعه « جاسر » بيده، فجأة شعر بأنه ينزلق على الأرض فأطلق صرخة صغيرة.. واندفع نحوه شقيقه وعمر بسرعة ووجدوا انفسهم ينزلقون هم أيضاً، فقد كانت الأرض منحدرة.. وناعمة الملمس.. وعندما تمكنوا من السيطرة على انفسهم، كان المكان غارقاً في ظلام تام، وقد أغلق الباب خلفهم..

وهمس جاسر في صوت خافت : ياسر.. عمر.. هل أنتما هنا؟

الأرض وحتى السقف.. وأخذوا ينظرون بدهشة الى كل هذه

وجاء صوتهما بجواره تماماً، وظلوا صامتين لمدة دقائق طويلة، ولكن شيئاً لم يحدث، وهنا تجرأ « جاسر » فأشعل بطاريته، وعلى ضوئها رأى زميليه.. واقتربوا من بعضهم، وأخذ يدير الضوء فيما حوله.. لم يشعر بوجود احد غيرهم، فتنهد وقال، يبدو ان باب الممر كان مفتوحاً، فسقطنا في المدخل الى قلب النفق تماماً..

ياسر : هذا طبيعي، لا تنسَ أنَّ جميع الأجهزة الاليكترونية معطلة، ولذلك وجدنا الباب مفتوحاً!

وأضاء « ياسر » بطاريته أيضاً، ووجهها الى الأمام.. كان النفق أمامهم طويلاً.. وكان خالياً، وبدأ الثلاثة في السير الى الأمام.. في الطريق الى القصر.. وفجأة توقف « ياسر ».. والذي كان في المقدمة وحول ضوء البطارية الى جانب الممر، وهمس قائلاً: أنظروا!

وعلى الضوء القليل استطاعوا أن يروا جوانب الممر، كان يحده من الجانبين، حجرات صغيرة تشبه الزنازين في السجون.. لها أبواب من القضبان، واقتربوا منها، لم يكن بها بشرٌ، ولكنها كانت مملوءة بالصناديق والحقائب.. من

الزنازين.. وهذه الكميات الهائلة من البضائع.. واقتربوا اكثر واكثر.. وكلما تقدموا، كانوا يجدون المزيد من الصناديق المكدسة.. وحاولوا قراءة المكتوب عليها.. ولكنها كانت خالية من أي اشارة تدل على ما بداخلها.. وفجأة دار شعاع الضوء في زنزانة بدت خالية لم يكن بها بضائع.. ولا صناديق مجرد طبق خال، وبقايا طعام.. وقطعة من الفراش القديم وكادوا ينصرفون عنها عندما سمعوا آهة مكتومة.. فتوقفوا تماماً.. وأسرع « ياسر » يدير ضوء البطارية في الزنزانة كلها.. وفي الركن البعيد رأوا شبحاً مكوماً حول نفسه وملتصقاً بالحائط وركز ياسر الضوء على وجهه فرفع الرجل يده ليبعد الضوء عن عينيه.. وكان يرتعد في مكانه من البرد والخوف..

وسأله جاسر في دهشة.. من انت؟ ماذا تفعل هنا؟

وجاءه صوت الرجل ضعيفاً واهناً: الا تعرف من أنا؟ لماذا حضرتم.. هل سأموت الآن؟

وفي الظلام نظروا الى بعضهم في دهشة.. وفجأة لم يتمالك عمر نفسه فصرخ: لقد عرفته.. نعم.. عرفته.. أرجوك يا ياسر.. سلط الضوء على وجهه أريد أن أتأكد!

وأطاع ياسر طلبه.. وحاول الرجل ان يتحرك من مكانه ليبتعد عن دائرة الضوء، ولكن جاسر اشترك في حصاره.. وأكمل عمر صرخاته: نعم انه هو.. صميدة.. الغفير صميدة،

رغم هذا الذقن.. وهذا الشكل المخيف فقد عرفته انه هو.. هو..

وأخذ « ياسر » يحاول تهدئة « عمر » الذي حاول الانقضاض على الرجل، ولكن القضبان كانت تفرق بينهما: وقال الرجل: نعم! أنا صميدة.. هذا صحيح، ولكن من انتم.. انني لا أعرفكم في هذا الظلام! وفجأة ادرك الأولاد ان الرجل لا يراهم في الظلام وانه فقط يشعر بهم ويسمع أصواتهم..

فهمس ياسر: هذا عمر خالد، ونحن اصدقاؤه.. هل تعرفه؟!

وحول جاسر ضوء مصباحه ليسطع على وجه عمر الغاضب، ونظر الرجل اليه قليلاً، ثم زحف نحوهم مسرعاً كالمجنون وهو يقول: نعم.. نعم.. إنه هو ابن الباشمهندس خالد.. عمر الصغير لقد عرفته!

وحاول عمر ان يصيح فيه غاضباً، ولكن « جاسر » ضغط على يده ليصمت، ثم هبط الى جوار الرجل بحيث لا يفصل بينهما الا القضبان الحديدية، وقال للرجل: صميدة.. ماذا تفعل هنا؟

قال الرجل بسرعة: الحمد لله.. الحمد لله، لقد استجاب رجائي وأرسلكم إلي، انها قصة طويلة، ولكني سأقصها عليكم بسرعة، لتكونوا شهوداً على كلامي، قبل ان يقتلني المجرم « ابو دومة »!

وجلسوا جميعاً في الأرض بجواره، وبدأ حديثه قائلاً: اسمعوا، ان الباشمهندس بريء!

ومد عمر يده خلال القضبان ليمسك بتلابيبه قائلاً: لماذا شهدت ضده؟!

وقال الرجل وهو يرتعد: انني أيضاً بريء، اقسم لكم لم اكن اعرف شيئاً.. اسمعوا الحكاية فليس لدينا وقت.. في الليلة المشؤومة جاءني « أبو دومة » في منتصف الليل وطلب ان أعد له كوباً من الشاي، وأثناء تناولنا للشاي سمعنا صوت زورق بخاري في الماء، أسرعنا بالخروج، كان هناك رجلان أحدهما يرتدي المعطف الذي يرتديه الباشمهندس دائماً،

وكان في مثل قوامه وشكله، ولا يمكن التفريق بينهما في ضوء القمر.. وقال ابو دومة وهو يشير اليه.. ماذا يفعل الباشمهندس الآن؟. انه يحمل خزينة نقود مع صديقه.. الى أين يذهب بها؟ ورأيت الرجلين يذهبان الى الزورق بخزينة النقود، ثم عاد الباشمهندس الى كوخه، او من ظننت انه هو في ذلك الوقت.. ولم يتطرق الشك أبداً في خاطري.. بل تصورت ان الباشمهندس فعلا ينقل النقود الى مكان اكثر اماناً.. وعندما طلبوني للشهادة، ذكرت ما رأيته تماماً. ولم أكن كاذباً في كلامي حتى انتهت المحاكمة، وصدر الحكم على المهندس « خالد ».. وقد شعرت بالحزن والأسى وقررت ترك العمل في المكان، ولكن « ابو دومة » لم يتركني انفذ رغبتي، ووجدت انه يغريني للبقاء للعمل معه على ان اشترك في أعمال سوف تغرقنا بالذهب كما قال، وأخذ يشير الى ان لي نصيباً يجب ان احصل عليه.. ولما طلبت منه ان يشرح لي سر كلامه، ضحك وأخبرني انني كنت اشهد في قضية ملفقة، وان المهندس بريء.. وان هناك عملاء قد دبروا كل هذه القضية الكاذبة، وان النقود كلها ترقد الآن باسمه في احد البنوك في الخارج.. وطلب مني ان أعمل معه في الأعمال الجديدة القادمة.. ووعدني بالكثير من الأموال..

ويومها.. وقعت في خطأ كبير، فقد ثرت عليه ثورة كبيرة، وتشاجرت معه.. ومن يومها لم يتركني لحظة واحدة.. حتى بعد ان تظاهرت بقبول عرضه للعمل، لم يتركني، وكنت قد قررت الهرب والعودة، ثم الاعتراف للسلطات هنا بكل شيء.. فقد كنت أخاف من انتقامه مني هناك.. وفعلاً وفي سرية تامة، حجزت مكاني في الطائرة، وأخفيت ذلك عن كل انسان، وإذا بي لدهشتي الشديدة أجده بجواري في الطائرة، وعندما عدنا الى القاهرة.. ظل معي وأصر على ان نعود سوياً الى بلدتنا في عربة واحدة..

وأخذ الرجل يلهث، وكأنه سيلفظ آخر انفاسه.. والمغامرون يكتمون أنفاسهم في ذهول ينتظرون بقية التفاصيل.. وواصل الرجل حديثه..

وركبت معه العربة.. وتصورت انني سأصل الى بلدنا، ثم اتصل من هناك بالشرطة، ولكنني لم اشعر الا وأنا في هذا المكان.. يلقون الي بعض الطعام والشراب من وراء القضبان، وبين وقت وآخر يأتي احد الحرس ليخرج بي الى الحديقة، أرى ضوء الشمس، حتى لا اصاب بالعمى.. ولم أر « أبو دومة » مرة اخرى وحتى الآن.. وان كنت اسمع صوته يأمر

وينهي في بعض الأحيان.. وصمت الرجل تماماً.. وهبط من مكانه.. حتى خافوا أن يكون قد أغمي عليه.. ولكنه تحرك فجأة وقال وهو ينبش الأرض مثل الحيوانات: لقد تمكنت من كتابة اعترافي كاملاً. وخبأته هنا، خذوه معكم.. أرجوكم يجب ان تظهر الحقيقة، يجب ان ننقذ الباشمهندس!

وناولهم بعض الأوراق الملفوفة في كيس من البلاستيك، واشتد صوته وكأن قوته قد عادت اليه وقال: الآن.. لقد أرحت ضميري.. اخرجوا من هنا.. اخرجوا قبل ان يحضر الحراس

سأله جاسر: متى يحضر الحراس!

قال الرجلل: ان الحارس يأتي مرتين يومياً.. الساعة العاشرة صباحاً.. والسادسة مساء ان الشيء الوحيد الذي يصلني بالدنيا هو ساعتي.. ومعي قلم صغير، وهذه الأوراق التي اعطيتها لكم!

قال جاسر: ولكن الساعة الآن ما زالت الخامسة، أمامنا ساعة كاملة، يجب ان نحاول انقاذك من هنا!

قال صميدة: لا تهتموا بي، انني أدفع ثمن غبائي.. المهم الآن ان تنقذ والدك يا عمر

قال عمر بانفعال: نحن هنا من أجل هذا الهدف!

قال صميدة: ارجوكم.. اسرعوا بالخروج.. اريد ان اطمئن عليكم!

قال ياسر وهو يختبر القضبان: سوف نعود ومعنا الآلات التي تسمح باخراجك من هنا!

وسأله جاسر: قل لنا يا صميدة.. ماذا تحمل هذه الصناديق كلها؟

قال صميدة: إنها تحمل كل أنواع الممنوعات.. من المخدرات الى الأطعمة الفاسدة.. الى كل ما يضر الاقتصاد في مصر.. وأنا اعرف ذلك من كلامهم وهم ينقلون هذه البضائع، واعتقد انهم سينقلونها قريباً جداً. فهذا ما سمعته منهم.. الآن، اخرجوا من هنا.. ارجوكم..

وتحول الأولاد الثلاثة عنه وهم يقولون: سنعود إليك اليوم.. سريعاً.. بعد مرور الساعة السادسة..

وأسرع الثلاثة يلتمسون طريقهم الى الخارج.. وكان «عمر» يقبض بيديه على الاعتراف الذي يحمل براءة والده وقد أوشك على الطيران من فوق الأرض.. لا يكاد يصدق ان هذا قد حدث ولم يكونوا في حاجة الى الحديث، لقد تحقق لهم اليوم ما لم يتصوروا حدوثه.. وكان الحماس والنشاط والقوة تملأ قلوبهم.. كانوا يشعرون انهم قادرون على قهر المستحيل.. وبأسرع من الريح وصلوا الى البيت.. وأحاطوا بهند يتحدثون جميعاً في وقت واحد ويقصون عليها ما حدث.. حتى صاحت فيهم ليهدأوا.. ويتحدثوا واحداً واحداً.. وعندما انتهوا من قصتهم كانت ابستامة السعادة تملأ وجهها.. وقال «عمر» وقد لمعت عيناه بالفرحة لأول مرة منذ وقت طويل: سوف أذهب الى امي أبشرها بهذه الأخبار!

وأشارت اليه ليهدأ وقالت: اهدأ.. ليس الآن.. لا داعي لأن تملأها بالآمال العريضة.. قبل ان تتأكد نهائياً..

قال عمر: وهل هناك دليل أكثر من اعتراف «صميدة»؟

قالت هند: طبعاً.. الاعتراف هو سيد الأدلة.. ولكن وجود «صميدة» بنفسه يفيدنا أكثر، ان وجوده يؤكد الاعتراف، فقد يتصور أحد ان هذا الاعتراف مزيف!

وصمت الجميع، فلم تخطر على بالهم هذه الفكرة من قبل..

وقال جاسر: فعلاً، يجب ان ننقذ « صميدة » ثم انه بريء أيضاً ولن نتركه لهذا المصير القاسي الذي يعانيه..

ونهض ياسر واقفاً وقال: هيا يا جاسر.. تعال نعد الأدوات التي تصلح لتحطيم هذه القضبان..

وبدأ « عمر » ينظر اليهم في دهشة، والمغامرون الثلاثة يعدون حقيبة صغيرة، ويصنعون فيها بعض الأدوات بطريقة معينة وكأنهم قد تدربوا عليها طويلاً من قبل.. وشرح له « ياسر » بعض ما يفعلونه قائلاً: انها بعض المناشير الحادة التي تنشر الحديد.. وتقطعه.. هذا اذا كان لدينا وقت كافٍ.. أما اذا كان الوقت غير كاف، فهذا مسدس خاص يصهر الحديد ويذيبه. وناوله « جاسر » بطارية تشبه الكشاف، لها ضوء اكبر من البطاريات العادية وقال له: أحمل انت هذه البطاريات سنحتاج الى ضوئها القوي!

وشعر « عمر » بالسعادة، فها هو يصبح جزءاً مهما من المجموعة يقوم فيها بدور مفيد..

وقال ياسر « لهاديه » وهم ينظرون الى ساعاتهم: الساعة الآن السابعة إنه وقت مناسب تماماً.. سوف نعود لك ومعنا « صميدة » هذه المرة.. أما انت فتعرفين مهمتك، والآن أين « عجيبة » سنحتاجه قطعاً في هذا الوقت الحرج..

وقبل ان يعيد « ياسر » السؤال كان عجيبة يسبقهم عند باب المنزل الخارجي.. وأسرع المغامرون الثلاثة وراءه.. وظلت « هند » تنظر اليهم حتى غابوا عن نظرها، فأسرعت تعد المطلوب منها.. كان عليها ان تطلب المقدم « عماد ».. فقد حان الوقت ليعرف كل ما توصلوا اليه من معلومات.. ولكن.. وللأسف الشديد، فقد جاء الرد المعتاد انه في مهمة رسمية وسوف يتصل بها عند عودته..

وتحولت « هند » الى النافذة تنظر منها في قلق وحيرة، ولكنها ابتسمت في راحة، فقد رأت عربة الشرطة الصغيرة التي يركبها عمها تتوقف أمام الباب، وقفز منها المقدم « عماد » في رشاقة ولكن ابتسامتها تحولت الى دهشة شديدة، فبدلاً من أن يدخل الى بيتهم، رأته يعبر الطريق الى المنزل المقابل ويختفي فيه.. وظلت تنتظر حائرة، حتى رأته

يعود مرة اخرى، ولكنه أيضاً لم يدخل منزلهم، وانما قاد سيارته ومضى كالريح!

واشتدت دهشة « هند » أين ذهب عمها؟ لماذا زار منزل صديقهم « عمر » ثم اختفى بدون ان يمر عليهم.. اسئلة كثيرة حائرة أخذت تدور وتدور في رأسها، وانتظرت قليلاً حتى تأكدت من مرور وقت كاف يسمح لعمها بالعودة الى مكتبه، ثم أدارت قرص التليفون لتطلبه.. وطال الرنين قليلاً.. ثم ابتسمت في راحة، كان على الطرف الآخر عمها المقدم « عماد » بنفسه وقالت له بفرحة: عندي لك أخبار رائعة!

فرد عليها قائلاً: وأنا أيضاً، سوف تسمعون أخباراً لا تصدق!

قالت هند: لكن.. اسمع مني أولاً..

* * *

... وكما حدث في المرة السابقة، وصل الفرسان الثلاثة.. معهم « عجيبة » صامتاً كما أمره « ياسر ».. وبنفس الحذر سابق تلمسوا طريقهم الى الدخول.. ولكن شيئاً لم يصادفهم يعترض طريقهم.. وعلى شعاع ضوء ضئيل.. تحسسوا

الأرض تحت أقدامهم وهم يحاذرون من صدور أي صوت لهم.. حتى شعروا انهم قد وصلوا الى الزنزانة التى يقبع « صميدة » في أحد اركانها.. وهمس ياسر: « صميدة ».. هل أنت هنا؟

وشعروا بحركة قريبة منهم، فأضاء « جاسر » البطارية، حتى سقطت على وجه « صميدة » الذي كان يرتعد.. وهمس في خوف: من.. هل عدتم مرة أخرى؟ لماذا عدتم؟ إنكم تتعرضون لخطر عظيم.

فهمس جاسر: اطمئن، نحن نعرف ما نحن مقدمون عليه!

وضغط على يد « عمر » ضغطة خاصة، فهمها على الفور، فأضاء البطارية الكبيرة والتي أضاءت مساحة واسعة، تمكن خلالها « صميدة » من أن يراهم.. وأن يشاهدوه بدورهم..

قال صميدة: سوف يحدث حادث اليوم.. أنا متأكد من ذلك، لقد حضر الحارس ولكنه لم يكن وحده هذه المرة، كان معه رجلان آخران.. وكان أكثر شراسة من المعتاد يبدو عليهم الاضطراب والقلق لسبب لا أدريه.. انهم يصيحون كالوحوش اذا غضبوا

طمأنه جاسر قائلاً: ان الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً، بعد لحظات سوف تكون حراً طليقاً! وفي الوقت الذي كان فيه « صميدة » ينظر حوله في خوف ورعب، أخرج الأولاد بسرعة وخبرة معداتهم.. وبينما يسلط « عمر » الضوء على المكان! أخذ «جاسر» و«ياسر» يشعلان أجهزة اللحام، والتي تصهر الحديد، ويسلطانها على القضبان.. وكان الحديد صلباً، وغليظاً، استغرق وقتاً طويلاً قبل أن يلين تحت أيديهم.. وبسكين خاصة.. حادة النصل، أطاح « ياسر » بالجزء المصهور من القضبان.. ثم همس وهو يطفئ جهاز اللحام.. سننتظر قليلاً، حتى يبرد الحديد، وبعدها سيكون من السهل فصل أجزاء القضبان عن بعضها مسافة تسمح بخروجك..

واشتد قلق « صميدة »، وأصبح يدور في الزنزانة كالحيوان الحبيس.. وينظر الى انحاء الممر في اتجاه مدخل القصر، بعيون ضعيفة من كثرة ما عاشت في الظلام..

وفجأة.. حدث كل شيء بسرعة.. حتى ان أحداً لم يتمكن من الحركة.. سمعوا صوت باب الممر يصطدم بالحائط.. وضوء قوي يسلط عليهم.. ووقف في مدخل الباب ثلاثة من الرجال المسلحين..

صرخ أحدهم: لقد وقعتم في المصيدة مثل الفئران..

وأطلق نيران مدفعه الرشاش.. مصوباً اليهم عشرات الطلقات.. وأيقنوا جميعاً انهم قد هلكوا.. فلم يتمكن أحد منهم من الحركة..

ولكن.. كان هناك « عجيبة » الوحيد الذي تصرف.. وفي الوقت المناسب تماماً، قفز قفزة هائلة في نفس اللحظة التي صوب فيها الرجل البندقية اليهم، وسقط الرجل تحت ثقله وهول المفاجأة، فطاشت الطلقات في الفضاء، وارتفع نباح « عجيبة » المفاجىء، ليشل حركة المهاجمين، والذين دهمتهم المفاجأة فلم يعرفوا من أين يأتي الخطر..

ولم يتركهم الأولاد ليفيقوا من دهشتهم.. كان « عجيبة » قد انتهى من شل حركة الأول واستدار ليساعد المغامرين في هجومهم على الاثنين الباقيين.. وكان « عجيبة » و« ياسر »، كفيلين بالقضاء على خطورتهما تماماً.. وفي لحظات كان الثلاثة مقيدين بالحبال..

ثم.. حدث الهجوم الثاني.. فجأة كما حدث الأول.. مزيداً من الأضواء.. ومزيداً من الأصوات.. واستداروا،



واتخذوا وضع الاستعداد للدفاع عن النفس، ولكنهم عادوا يتنفسون الصعداء.. فقد كانت الشرطة هي القادمة هذه المرة..

وتقدم اليهم المقدم « عماد » قائلاً في دهشة: كيف فعلتم كل هذا؟

وقال جاسر: ليس هذا وقت التفسير يا سيادة المقدم.. أرجو ان تنقذ « صميدة » من الزنزانة اولاً.. ثم..

ولكن « صميدة » كان يقف وسطهم.. فقد تمكن بحجمه الضئيل من الخروج من الزنزانة.. وقال بتردد..

ــ هل ممكن البحث عن « أبو دومة » والقبض عليه!

وفي هذه اللحظة، دخل أحد الجنود والقى بالتحية للمقدم « عماد » وقال: لم نجد له أثراً يا سيدي!

قال عماد موجهاً حديثه لصميدة: تعال معنا، قد تستطيع التعرف عليه أنت أفضل من الباقين.

واندفعوا جميعاً الى الحدائق المحيطة بالقصر.. ورأى المغامرون ان الشرطة قد قبضت على جميع الخدم.. وكان عددهم أربعة لا غير بالاضافة الى الحراس الثلاثة والذين قبض

عليهم المغامرون.. ونظر اليهم المقدم عماد وقال: أين أبو دومة؟

ولم يرد احد.. ثم تجرأ احدهم وقال: لا نعرف أحداً بهذا الاسم!

واقترب « ياسر » من عمه، وأشار بيده الى احد الخدم وقال: لقد كان هذا الخادم العجوز في ملابس مختلفة في الصباح، وكان واضحاً انه هو الرئيس.. فقد كان صاحب الكلمة والأمر بين الجميع!

واقترب الضابط من الخادم العجوز وسأله: من أنت؟
وقال العجوز: انا خادم هنا.. اساعد في أعمال المطبخ!
سأله: وأين صاحب القصر؟
أجاب: لست أدري، فأنا لا أخرج من المطبخ، ولا أرى احدا!

وهنا صرخ « صميدة » وهو يشير الى الخادم العجوز: لا.. لا.. ان هذا هو صوته نعم صوت « فتحي ابو دومة »

واندفع يمسك بتلابيبه، وفجأة تحول العجوز المرتعش الى وحش كاسر.. فاطاح « بصميدة » بيد واحدة.. واسرع يندفع

هاربا بين اشجار الحديقة، وانقض عليه جنديان ليمسكا به، ولكنه طرحهما أرضاً بكل سهولة.. وفي اللحظة المناسبة، امتدت قدم « ياسر » في طريقه، فسقط على وجهه.. وبعد لحظات كان مكبلاً بالحديد..

وقال له المقدم عماد: لقد فضحت نفسك « يا أبو دومة »

ان قوتك لا تتناسب مع مظهر رجل في الثمانين من العمر.. لقد أجريت جراحة لوجهك لتصنع هذه التجاعيد.. ولكنك سقطت أخيراً..

ولم يمضِ وقت طويل، حتى كان المجرمون مقيدين في عربة الشرطة في طريقهم الى السجن وقال الضابط « عماد » للمغامرين: الآن عودوا الى المنزل، وسأرجع اليكم سريعاً.. ومضى بعربته وراء العصابة التي سقطت..

وفي خطوات راقصة سعيدة، عاد الأولاد الى البيت، وفي هذه المرة قرر « عمر » ان يتجه الى والدته فوراً لينقل اليها الأنباء الطيبة، أما « ياسر » و« جاسر » فقد توجها الى « هند » التي كانت تستقبلهم باسمة.

وقال لها « ياسر » مرة أخرى استطعت انقاذنا، فأرسلت لنا الشرطة في الوقت المناسب! ونبح « عجيبة » محتجاً:

فضحك ياسر وقال: هذا بطلنا العزيز « عجيبة »، لقد انقذنا من الموت المحقق..

ورفع « عجيبة » رأسه بكبرياء..

وبدأ « جاسر » يقص على « هند » كل ما حدث بالتفصيل.. وختم حديثه قائلاً لقد ذهب « عمر » الى والدته ستكون هذه الأخبار مفاجأة لها!

ضحكت « هند » قائلة: وسيجد لديها أيضاً اخباراً سعيدة!

نظرا اليها بتساؤل، قالت: بعد ذهابكم مباشرة، رأيت عمي يزور منزل « عمر » وعندما اتى الي بعد ان طلبته تليفونياً، وسمع مندهشاً التفاصيل التي توصلنا اليها، قال لي ان « الانتربول » أي الشرطة الدولية التي يعمل بها، قد تمكنت من الحصول على كثير من المعلومات التي تفيد بأن « ابو دومة » هو المجرم الحقيقي، وانه قد ارتكب جريمة بمساعدة عملاء دوليين في الخارج، تم القبض عليهم مؤخراً.. وان « ابو دومة » يعيش الآن في القاهرة باسمه الحقيقي وهو « عبد الفتاح العدوى » وهو الاسم المقيد به في شهادة الميلاد، وكما يحدث عادة في ريفنا المصري، فقد اطلق

عليه منذ طفولته اسم « ابو دومة » وهو اسم الشهرة الذي عرف به، وقد استطعنا نحن أن نصل إليه اولاً.. وذلك بفضل افكار « ياسر » وعضلاته.. وضحك الثلاثة، واكملت « هند » حديثها قالت: لقد جمع حوله عصابة خطيرة.. كانت تتعامل في كل الممنوعات.. ووضع حوله عدداً قليلاً من الحراس، ولكنه استعان بالمعدات والأجهزة الاليكترونية لأنها اكثر دقة وأماناً ولكن « ياسر » حطم الجهاز الرئيسي فتقطعت الأجهزة، وبقيت الأبواب مفتوحة.. وهكذا نجحنا في الوصول اليه..

وسأل جاسر: وماذا حدث لوالد عمر الآن؟

هند : هذه هي الأخبار التي نقلها عمي الى والدة « عمر » لقد أفرج عنه، وهو يعيش الآن حراً طليقاً!

وتنهد الجميع بارتياح، وسأل جاسر فجأة: وصميدة المسكين.. هل سيعاقب هو الآخر..

وجاءهم صوت عمهم مرحاً يقول: لا لأنه الشاهد الرئيسي فى هذه القضية.. انه شاهد على كل جرائم « ابو دومة » ونظر عمهم طويلاً، وقال مبتسماً: انني فخور بكم.. ابتسموا في تواضع.. ثم قال ياسر: الآن اصبح عمر صديق العمر لنا..

لقد وجدت زميلاً سوف يذاكر معي بقية العام..

قال عماد: لا أظن.. ان هذا لن يحدث للأسف!

ونظروا اليه في دهشة فقال: لقد نسيت ان اخبركم ان المهندس « خالد » والد عمر قد قرر البقاء في البلد الشقيق.. لتنفيذ المشروع الذي كان قد بدأه قبل هذه الأحداث.. وقد ارسل في طلب زوجته وابنه.

وسأل جاسر حزيناً: هكذا.. ومتى يسافران!

وهذه المرة أتى صوت « عمر » السعيد: غداً، في الفجر.. لقد أتيت لأودعكم.. ولأشكركم ولن انساكم العمر كله!

وعندما انتهت لحظات الوداع.. وغادرهم « عمر ».. كانت نظرات الحزن قد اختفت من عينيه الى الأبد!

* * *

المغامرة القادمة:

ان هرم من نوع غريب.. هرم اسود..

يعثر عليه المغامرون الثلاثة « جاسر » و« ياسر » و« هند ».. يحاولون كشف اسراره..

فيصطدمون بالمجهول.. بالموت.. وبالحياة.. وبالجنون..

انتظر المغامرة الغامضة القادمة.. مثيرة مدهشة..

« سر الهرم الأسود »

هذه المغامرة

تأليف: رجاء عبد الله

هذه مغامرة من نوع جديد، وغريب..

يجد المغامرون الثلاثة «جاسر» و«ياسر» و«هند» أنفسهم في صراع بين العقل والعاطفة..

العقل يقول أن القضاء لا يخطئ..

والعاطفة تدفعهم الى مساعدة صديقهم..

ومن خلال هذا الصراع يندفعون للعثور على دليل البراءة

ولكن تظهر أكثر من مفاجأة.. مثيرة.. غريبة.. وغامضة!

أين الحقيقة؟!

هذا ما تقرأه في المغامرة العجيبة..



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

مغامرات الجيل البوليسية تصدر شهرياً